الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد لمين دباغين. سطيف2
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: علم الاجتماع

مطبوعة الدعم البيداغوجي

بعنوان:

نظريات الديموغرافيا

موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس، التخصص : ديموغرافيا

إعداد الأستاذ (ة): كريمة فلاحي
الرتبة العلمية: أستاذ محاضر أ

UNIVERSITE SETIF2

السنة الجامعية: 2017/ 2018 م

فهرس المحتويات

المقدمة.....ص5

المحاضرة الأولى: مدخل إلى علم السكان.....ص6

1-أهمية، أسباب الدراسات السكانية ومفاهيمها. ص7

1-1أهمية دراسة علم السكان. ص7

1-2أسباب ازدهار وتقدم الدراسات والنظريات السكانية. ص9

1-3المفاهيم.....ص11

أ- النظرية. ص11

ب- الديموغرافيا(علم السكان).....ص11

ج- الخصوبة.....ص13

د- الوفيات.....ص14

هـ- الهجرة.....ص15

المحاضرة الثانية: الفكر السكاني القديم.....ص16

كنفوشيوس.....ص17

2- أفلاطون.....ص18

3- أرسطو.....ص21

4- الفكر السكاني في الديانات السماوية.....ص23

5- الفكر السكاني عند ابن خلدون.....ص26

6- الفكر السكاني في القرن السابع عشر.....ص26

6-1- جون جرونت.....ص30

6-2- سير وليام بيتي.....ص33

7- الفكر السكاني في القرن الثامن عشر.....ص34

8- نظرية روبرت مالتوس.....ص36

المحاضرة الثالثة والرابعة: النظريات السكانية بعد المالتوسية.....ص42

المحاضرة الثالثة: النظريات الطبيعية.....ص47

أ - نظرية مايكل توماس سادلر.....ص47

ب - نظرية دبلداي.....ص49

ج - نظرية هربرت سبنسر.....ص50

د- نظرية كواردو جيني.....ص51

المحاضرة الرابعة:النظريات الاجتماعية.....ص54

أ- نظرية إميل دوركايم.....ص54

ب - نظرية كارل ماركس.....ص55

ج- نظرية هنري جورج ص59

د- نظرية أرسين ديمون.....ص59

هـ - نظرية كار- سوندرز.....ص60

المحاضرة الخامسة، السادسة والسابعة: النظريات المحدثة في علم السكان...ص62

1- نظرية انخفاض الوفيات.....ص63

أ-نظرية توماس ماكيون.....ص64

ب- نظرية التحول الوبائي لعبد الرحيم عمران.....ص68

2- نظرية الوضع الاجتماعي (الخاصية الشعرية).....ص77

3- نظرية الكلفة في الخصوبة.....ص79
4- نظرية التحول الديموغرافي الانتقالية الديموغرافية.....ص80
5- نظرية تركيب العائلة.....ص84
6- نظرية اتجاه تدفق الثروة (كالدويل).....ص85
7-نظرية كاين.....ص85
8-نظرية ديفيز وبلاك.....ص86
9-نظرية جون بونقارتز.....ص88
المحاضرة الثامنة، التاسعة والعاشرة: بعض الدراسات في علم السكان.....ص90
1-نظرية فريدمان Freedmanعن الخصوبة.....ص91
2-نظرية استرلين Easterlinعن الخصوبة والتنمية.....ص92
3-دراسة هيرنك Heerinkعن النمو السكاني وتوزيع الدخل والتنمية الاقتصاديةص94
4-دراسة هاميل Hammelعن نظرية الثقافة في الديموغرافيا.....ص96
5-دراسة اريزبArizpe عن السكان والتنمية.....ص98
6-دراسة سنSen عن الشيخوخة.....ص99
7-دراسة ماكرسي McCarthy ومين Maineعن محددات وفيات الأمهات.ص101
الخاتمة.....ص104
قائمة المصادر والمراجع.....ص105

المقدمة:

من الصعوبة بما كان التحديد بدقة موضوع الديموغرافيا، لأنها تحتوى وحسب المفكر الاقتصادي الفرنسي "الفريد صفي" على وجهتين مختلفتين، الاول فهو صلب يضم العمليات الرياضية ومختلف الحسابات الأخرى، وذلك ما يتعلق بالمحاسبة البشرية، لان الديموغرافيا تعتبر السكان مجموعة من الأفراد يقومون بإعادة انتاج ذواتهم حسب قوانين معينة، أما الوجه الثاني، فيتمثل في دراسة الأسباب الاقتصادية والاجتماعية وكذلك حصيلة العمليات الديموغرافية التي تحمل طابعا سوسيولوجيا. وهذا ما جعل من الديموغرافيا النواة التي تدور حولها العديد من العلوم الطبيعية.

ومع استمرار التطور العلمي الذي يشهده العالم في مختلف ميادين الحياة المعاصرة وعلى كافة المستويات، برزت ظواهر ومشكلات سكانية من نوع جديد دفعت الباحثين والعلماء إلى دراستها وتحليلها ومحاولة الكشف عن أسبابها الاقتصادية والاجتماعية ومعرفة مخاطرها الآنية والمستقبلية، وعليه نشأت مدارس فكرية حديثة، بالإضافة إلى جملة من الأفكار السكانية القديمة أخذت على عاتقها مهمة تبنى وجهات نظرا متباينة، وعليه فقد جاءت هذه المطبوعة لتعرض أهم الأفكار والنظريات السكانية، سواء القديمة منها أو الحديثة، كما تحاول إبراز أهمية دراسة علم السكان وتحدد أهم المفاهيم الديموغرافية.

المحاضرة الأولى: مدخل الى علم السكان

1- أهمية، أسباب الدراسات السكانية ومفاهيمها.

1-1 أهمية دراسة علم السكان.

1-2 أسباب ازدهار وتقدم الدراسات والنظريات السكانية.

المفاهيم.

أ- النظرية.

ب- الديموغرافيا(علم السكان).

ج- الخصوبة.

د- الوفيات.

هـ- الهجرة.

1- أهمية، أسباب الدراسات السكانية ومفاهيمها.

1-1أهمية دراسة علم السكان:

من الأمور ذات الأهمية البالغة دراسة التغير في حجم السكان سواء على مستوى المجتمع أو المجتمعات المختلفة، ذلك لأن التغير في الحجم يثير كثير من النتائج الاجتماعية والاقتصادية وغيرها سواء كانت هذه النتائج في صالح المجتمع أم لا، ومن هنا كانت أهمية الدراسات السكانية التي تخص دراسة الحجم بمزيد من الاهتمام والرعاية حتى يمكن وضع السياسات المختلفة لمواجهة كافة العواقب الوخيمة اذا كانت الزيادة في الحجم على حساب الموارد المتاحة في المجتمع، خاصة ونحن نعلم أن زيادة حجم السكان يتطلب مزيدا من الخدمات ومن فرص العمالة إلى غير ذلك، ويؤثر كل ذلك في مستوى المدينة الحضاري فضلا عن تأثيره على الأوضاع داخل المجتمع الريفي.

بالإضافة إلى ذلك فإن هناك أهمية تنتج عن الزيادة في عدد السكان وذلك في المجال الحربي، حيث أن التغير الذي يطرأ على حجم السكان له أثره في تحديد مركز وقوة المجتمع من الناحية العسكرية، وهذا التغير في الحجم وأثره الحربي لا يكون واحد في جميع المجتمعات.

وللدراسات السكانية أهمية أخرى من حيث توزيع السكان وذلك لارتباط توزيع في منطقة معينة بحجم النشاط الاقتصادي بها، فقد يحدث تغير في نمط النشاط الاقتصادي لكي يواجه الزيادة المستمرة في عدد السكان سواء بالهجرة أو بالمواليد. وينتج التغير في توزيع السكان تحت تأثير زيادة عدد المواليد على حساب معدلات

الوفيات، فضلا عن ذلك قد يحدث تغير في التوزيع عن طريق الهجرة وذلك حين ينتقل السكان من منطقة لأخرى، فتنتقل نسبة الزيادة في المنطقة التي هاجروا منها بينما تزداد في المنطقة التي هاجروا إليها.

"كما يعتبر دراسة التغير في توزيع السكان هام جدا حين توضح الأثر الذي يتركه على معدلات المواليد. ذلك أن المناطق الصناعية تتجه في الوقت الحاضر إلى انجاب عدد كبير من الأطفال حتى لا ينخفض عدد السكان بينما نجد العكس في المدن الكبرى. أما في المجتمعات الصغيرة وبخاصة في الريف فنلاحظ أن نسبة زيادة النسل فيها واضحة ولذلك فقد أصبح توزيع السكان بين المجتمعات المختلفة ذا أهمية كبيرة من حيث تحديد اتجاه السكان نحو الزيادة أو النقص"[1].

وتكمن كذلك أهمية دراسة الديموغرافيا في "طريقة التطرق إلى كل ما يتعلق بالسكان وأهميته من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وغيرها من النواحي التي تمس المجتمع، فلكي نفهم تركيب مجتمع سكاني ما، يجب أن تكون لدينا معلومات كافية عنه بما فيها مثلا الحجم السكاني، تركيبته العمرية والنوعية والاقليمية...فنمو السكان في أي منطقة من المناطق لا يمكن فهمه دون الرجوع إلى التغير الذي يحدث في توزيع السكان، وأهم عناصره في المجموعات السكانية بما فيها المواليد والوفيات والهجرات، بالإضافة إلى الصفات الاجتماعية والاقتصادية، الوضع الزواجي، التعليمي، والديني ...[2] ، كذلك توزيع السكان من حيث الاقامة في الريف أو

---

[1] اسماعيل حسن عبد الباري، **الديموغرافيا الاجتماعية**، ط1، (عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2000)، ص.20.

[2] آسيا شريف، **الظواهر الديموغرافية**(قراءات نظرية وتمارين تطبيقية)، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2015)، ص.12.

الحضر، كل هذه الخصائص تتحدد بحسب الظروف التي تسود المجتمع سواء من حيث الحالة التعليمية أو مستوى الدخل...

1-2-أسباب ازدهار وتقدم الدراسات والنظريات السكانية:

أولا: تقدم الدراسات البيولوجية الحيوية، والدراسات الأنتروبولوجية المتصلة بالسلالات البشرية، وخضوعها للمقاييس الحسابية الدقيقة وارتقاء منهجها بعد الافادة من الطريقة الاحصائية في تحليل الصفات النوعية للسكان في ضوء معرفة النظرية والتطبيقية للخصائص الفيزيقية والعقلية والنفسية للسلالات البشرية.

ثانيا: ارتقاء الدراسات الاحصائية، وتقدمها تقدما كبيرا، فأصبح من الميسور استغلال ما تصل إليه هذه الدراسات في شرح وتبسيط المسائل السكانية ورسم خطوط السياسة وفق تخطيط عام وتحليل البيانات المتصلة بالأحوال الصحية والثقافية والاجتماعية، والانتفاع بها من الوجهة العلمية التطبيقية في رسم وتنفيذ الخطط الاصلاحية.

ثالثا: تعميم الانتفاع بوسائل وطرق البحث العلمي المنهجي والاستفادة بوجه خاص من الدراسات المونوجرافية والبحوث الايكولوجية العمرانية.

رابعا: النمو الصناعي المطرد وتأثيره على ميادين التجارة والتسويق والاستبدال والعلاقات الدولية، وعناية الدول المنتجة بأمر الأحوال الاقتصادية والمميزات النوعية للشعوب المستهلكة أو الشعوب التي تتبادل معها السلع. وذلك لتحديد سياستها الانتاجية وفقا لاحتياجات تلك المجموعات وفي ضوء تقديرها لقدرتها الشرائية، وعلى طريق الوقوف على صفاتها وخصائصها النوعية. بالاضافة إلى ما استحدثته الصناعة من حياة مدنية وموضوعات عمالية تنطوى على موضوعات ومشكلات وتنقلات وهجرات سكانية تستلزم مزيدا من الاهتمام بهذا النوع من الدراسة والاعتماد عليه في

حل المسائل المتصلة بالحياة المدنية بعد أن أصبح لها الصدارة في الأهمية في وقتنا المعاصر.

خامسا: تطور الوعي القومي، وازدهار الوجدان الجماعي في نطاق المحلي، الأمر الذي جعل الدول تتنافس فيما بينها للعمل على رفاهية شعبها ومقابلة احتياجاته في الخدمات الاجتماعية، وساد العالم فكرة قياس نهضة ورقى الأمة بمقدار ما يحظى به مواطنوها من الرعاية الصحية والثقافية والتأمينات الاجتماعية، فانتشرت بذلك دراسات سكانية نوعية شملت كل القطاعات التي تستهدف الوصول إلى برامج تخطيط الاصلاح الاجتماعي، وقد أدى هذا إلى أن تعنى الدول بإنشاء أجهزة متخصصة للقيام بهذه الدراسات في مختلف المجالات والاعتماد عليها في رسم سياستها التخطيطية.

سادسا:تقدم الوعي السكاني في المجال الدولى، وقد برز هذا الاتجاه بصورة عملية حينما أقر المجلس الاقتصادي والاجتماعي لهيئة الأمم المتحدة ضرورة بحث المسألة السكانية على مستوى دولي، وقد عقد أول مؤتمر عالمي للسكان في مدينة روما سنة 1954م، وإن دل ذلك على شيء فهو نضوج الوعي السكاني في بقاع العالم المختلفة وتنبه المسئولين إلى السياسة الدولية وإلى أهمية وخطورة المسألة السكانية، والانتقال من دراستها على المستوى المحلى والقومي إلى المستوى العالمي. وعليه أصبحت هناك هيئات متخصصة في الدراسات السكانية تابعة بصفة مباشرة أو غير مباشرة للمنظمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تشرف عليها هيئة الأمم المتحدة[3].

---

[3] أحمد الخشاب، **التفكير الاجتماعي**(دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية)، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دون سنة نشر)، ص.(451- 453).

1-3-تحديد المفاهيم:

أ- النظرية:هناك محاولات تعريفية كثيرة للنظرية الاجتماعية ومن أهمها:

أنها حقيقة مقبولة علميا. أو أنها مجموعة من قوانين يستخرج منها استنتاجات دقيقة غير متحيزة، لها فاعلية في تفسير وشرح سلوك وتفكير الناس من واقعها الحقيقي، أو هي مجموعة مفاهيم مترابطة بشكل متسلسل ومنظم هدفها بلورة قوانين الظاهرة المدروسة، كما أنها مجموعة قضايا مترابطة بشكل منطقي موضحة جزاء من الواقع، وهي مجموعة افتراضات تشكل نسقا استدلاليا مرتبة بشكل مترابط، يمثل الافتراض الأول المرتبة العليا في النسق الاستدلالي وتكون بمثابة مقدمة منطقية للنظرية موضحة احتمال وقوع الحدث المدروس، والاحتمال الواقع في المرتبة الدنيا في النسق ويمثل خلاصته(خلاصة النسق)، والفرضيات التي تقع في وسط النسق تمثل حلقة الوصل بين الخلاصة والمقدمة[4] "ن من خلال التعريفات السابقة نستنتج أن النظرية تتكون من ثلاثة عناصر أساسية هي: المفاهيم، القضايا والبناء المنطقي.

ب- الديموغرافيا(علم السكان):

يطلق اصطلاح علم السكان على الدراسة العلمية للسكان والكلمة مكونة من أصلين يونانيين أولا كلمة demos ومعناها ناس أو بشر وثانيا graphien ومعناها كتابة أو وصف، أي أن الاصطلاح demography يعني كله(الكتابة عن الناس)

[4]على غربي، **علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية والمحدثة**، (الجزائر: مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة، 2007)، ص.17.

أو(وصف الناس) وهو ما يطلق الآن على علم السكان[5]. ولقد كانت هناك "محاولة لاستبدال لفظ ديموغرافيا الذي يتضمن معنى الوصف بلفظ ديمولوجيا الذي يتضمن في عنصره الثاني معنى العلم وذلك بهدف الاشارة إلى الناحية العلمية في البحث السكاني، غير أن هذه المحاولة لم تستمر كثيرا"[6].

وعليه فالديموغرافيا هي علم السكان وأول من استخدم هذا المصطلح بصفته العلمية هو البلجيكي أشيل غيار ACHILLE GUILLARD، في كتابه(مبادئ الاحصاء البشري أو الديموغرافيا المقارنة) عام 1855م، حيث عرف غيار الديموغرافيا بأنها" التاريخ الطبيعي والاجتماعي للأجناس البشرية، أو المعرفة الرياضية للسكان وتغيراتهم العامة، وظروفهم الجسمية والمدنية والعقلية والأخلاقية[7]."وتعرف الديموغرافيا كذلك على أساس أنها إحصاء عدد السكان، أي معرفة عدد الأشخاص الذين يتركبون منه[8].

وتعرف الديموغرافيا أيضا على أنها: دراسة السكان من حيث الحجم والتركيب والتوزيع وأسباب ونتائج التغيرات في تلك الخصائص، وهي بذلك تتكون من مجالين أساسيين إحداهما يختص بتركيب السكان، وهو يهتم بوصف السكان باستخدام مقاييس مثل الحجم، والتوزيع العمري، التوزيع الجغرافي والسلالة والدين ومستوى توزيع الرأسمال البشري ويتضمن المجال الثاني ديناميكية السكان أي التغيرات التي تطرأ على تركيب

---

[5]خليل عبد الهادي البدو، **علم الاجتماع السكاني**، (الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2008)، ص.13.

[6]مصطفى السلقاني، **طرق التحليل الديموغرافي**، (جامعة الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، دون سنة نشر)، ص.9.

[7]صفوح الأخرس، **علم السكان وقضايا التنمية والتخطيط لها**، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، 1980)، ص.15.

[8]لويس هنري، **الديموغرافيات تحليل ونماذج**، ترجمة جلالي صاري، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1984)، ص.5.

السكان خلال فترة زمنية معينة، وتحدث هذه التغييرات إما نتيجة الزيادة الطبيعية(المواليد والوفايات)، أو الزيادة غير الطبيعية(الهجرة)[9].

" وفي رأي هاوزر ودنكن أن مجال الديموغرافيا يقتصر على حقلين أحدهما ضيق وهو التحليل الديموغرافي، والآخر واسع وهو الاختلافات والتغيرات السكانية، وأن الدراسات السكانية تهتم ليس بالمتغيرات السكانية فحسب ولكن أيضا بالعلاقات بين المتغيرات السكانية والمتغيرات الأخرى من اجتماعية واقتصادية وسياسية وحياتية(بيولوجية) ووراثية وجغرافية وغيرها. ان مجال الدراسات السكانية هو مجال الاهتمام بمقررات ونتائج الاتجاهات السكانية"[10].

ج- الخصوبة:

الخصب في اللغة تعني كثرة الكلأ والعشب في مكان ما، ومنه تربة خصيبة وذهن خصيب والخصوبة في علم الأحياء القدرة على الحمل وتهيؤ البويضة للتلقيح بعكس العقم. والخصوبة في علم السكان مفهوم يقصد به العدد الواقعي لمن يولدون أحياء، فهي خصوبة واقعيةfertility تتميز عن الخصوبة الطبيعية fecundity، التي تدل على القدرة الإنسانية[11].

وتستعمل الكلمتان الانجليزيتان (fecundity ، fertility) استعمالا مغايرا أو معاكسا، فتدل الكلمة الفرنسية fecondite، على مجرد الخصوبة في حين تعني كلمة fertilite على الخصوبة الطبيعية، ولدى لجأ في اللغة العربية إلى تفرقة أدق بين خصوبة واقعية وأخرى طبيعية. كما يفرق دارسو السكان عند تناولهم لموضوع المواليد

---

[9] مصطفى خلف عبد الجواد، **دراسات في علم اجتماع السكان**، ط1، (عمان: دار المسيرة، 2009)، ص.6.

[10] فوزي سهاونة، **مبادئ الديموغرافيا**، ط1، (الأردن: نشر بدعم من الجامعة الأردنية والأمم المتحدة، 1982)، ص.11.

[11] خليل عبد الهادي البدو، **علم الاجتماع السكاني**، (الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2008)، ص.175.

بين الإنجاب أو النسل أو الخصوبة fertility، وبين القدرة البيولوجية على الحمل أو الولادة أو الخصوبة الحيوية fecundity، على أساس أن العملية الأولى هي عملية إنجاب الأطفال فعلا، ونسبة الإنجاب هي نسبة المواليد الأطفال للنساء في سن الحمل. أما الخصوبة الحيوية سواء تزوجت المرأة أم لم تتزوج أو لأنها تمنع الحمل، أو لأنها تجهض نفسها وهي غير المرأة العقيم[12]. والخصوبة لفظ يستخدم للدلالة على ظاهرة الإنجاب في المجتمع السكاني، وهو يعبر عادة عن عدد المواليد الأحياء المنجبين في الأسرة. وهنا يفترض التمييز بين المفاهيم التالية:

القدرة على التوالد: fecundity

وهي القدرة الفسيولوجية على الحمل والإنجاب، وهي تؤشر عادة على القدرة الطبيعية على الحمل وإنجاب الأطفال.

الخصوبة الفعلية: fertility،

والتي تعبر عن عدد الأطفال الأحياء المواليد في الأسرة للنساء بين(15 – 49 عام).

الخصوبة المفضلة:

وتشير إلى عدد الأطفال الذي يرغب الزوجان بإنجابهم في الأسرة، كما تعرف الخصوبة على أنها الإنجاب الفعلي fertility، يعني حالات الولادة التي تحدث فعلا وينتج عنها مواليد أحياء للنساء في سن الحمل. وكثيرا ما يستخدم تعبير الخصوبة في هذا المعنى، ولكن الخصوبة fecundity، تعني في الحقيقة القدرة على الحمل، أو

[12]علي عبد الرازق جلبي، **علم اجتماع السكان**، (الأزارطة: دار المعرفة الجامعية، 2009)، ص.223.

إمكانية الحمل أو الخصوبة الاحتمالية الكامنة بيولوجيا والتي تتمثل في أن المرأة يمكن أن تنجب إذا تزوجت مثلا[13].

د- الوفيات:

تعتبر الوفيات من العوامل الحيوية للسكان، حيث أنها تؤثر تأثيرا كبيرا على حجمهم وتركيبهم، وهي من أهم العوامل التي تعمل على تناقص عدد الأفراد، وتختلف معدلات الوفيات من مجتمع لآخر ومن فترة زمنية لأخرى في المجتمع نفسه، بالإضافة إلى الأسباب الطبيعية فهي تحدث بسبب الحوادث والانتحار والجرائم والحروب وغيرها، كما تتأثر بالظروف الاقتصادية والاجتماعية، فتقدم العلوم الطبية والاهتمام بالرعاية الصحية للأفراد وتطعيم الأطفال ضد مختلف الأمراض يؤدي الضرورة إلى خفض الوفيات وكذا رداءة الظروف الصحية للمسكن تؤثر على صحة الأفراد وبالتالي تؤدي إلى الوفيات، وكذلك رفع الدخل وارتفاع مستوى المعيشة من شأنه أن يقلل من الوفيات[14].

هـ- الهجرة:

الهجرة في اللغة تعني الترك والمغادرة، يقال هجر الشيء أي تركه. وفي اللغة الانجليزية يستعمل لفظ(migration)، ويعني به عملية الانتقال، أما المصطلح الثاني فه(Immigration)، ويعني النزوح كما يعني الانتقال إلى الخارج، أما مصطلح الثالث

---

[13]أحمد على إسماعيل، **أسس علم السكان وتطبيقاته الجغرافية**،ط8، (القاهرة: دار الثقافة والنشر والتوزيع، 1997)،ص.81.

[14]دريد فاطمة، **النمو الديموغرافي وأثره على التنمية الاقتصادية والاجتماعية**، أطروحة دكتوراه دولة، (الجزائر: جامعة قسنطينة، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، 2007/2006)، ص.39.

فهو(Emmigration، ويعني الهجرة الخارجية أو وصول المهاجر إلى المكان الذي هاجر إليه أو إقامته في موطن الضيافة[15].

هي عملية انتقال أو تحول أو تغير لفرد أو جماعة من منطقة اعتادوا على الاقامة فيها إلى منطقة أخرى، أو من منطقة إلى أخرى داخل حدود بلد واحد أو من منطقة إلى أخرى خارج حدود هذا البلد[16].

أما في قاموس لاروس Larousse، فقد جاء تعريف الهجرة على أنها:" إقامة فرد أو مجموعة من الأفراد في بلد آخر، وفي كثير من الأحيان يكون دافع الهجرة هو البحث عن وظيفة واحتمال تحسين نوعية الحياة[17].

---

[15] رشيد زرزور، **الهجرة الريفية في ظل التحولات الاجتماعية الجديدة في الجزائر(1988- 2008)**، أطروحة دكتوراه دولة، (الجزائر: جامعة قسنطينة،قسم علم الاجتماع، 2008، ص.13.

[16]دريد فاطمة، **النمو الديموغرافي وأثره على التنمية الاقتصادية والاجتماعية**، مرجع سابق، ص.40.

[17]Larousse dictionnaires de français,**www .larousse .fr /dictionnaires/immigration/41704**,le20/02/2016,a04h.32m.

المحاضرة الثانية: الفكر السكاني القديم.

1/كنفوشيوس.

2/ أفلاطون.

3/أرسطو.

4/ الفكر السكاني في الديانات السماوية.

5/ الفكر السكاني عند ابن خلدون.

6/الفكر السكاني في القرن السابع عشر.

6-1- جون جرونت.

6-2- سير وليام بيتي.

7/ الفكر السكاني في القرن الثامن عشر.

8/ نظرية روبرت مالتوس.

المحاضرة الثانية: الفكر السكاني القديم:

كان الفكر السكاني القديم بمثابة محصلة الاهتمام بدراسة السكان من جانب عدد من المفكرين والكتاب، إهتموا في الأصل بأثر السكان على الأنساق الاقتصادية والسياسية، وكان من بين هؤلاء المفكرين:

1/كنفوشيوس:

جذب موضوع السكان انتباه كنفوشيوس بشكل كبير، وهو أحد أهم علماء الصين العظماء، فقد أظهر اهتمامه بالمسألة السكانية مبكرا خاصة أنه أثار فكرة التناسب بين مساحة الأرض وعدد السكان واعتقد أن من مسئولية الحكومة نقل السكان من المناطق المزدحمة بالسكان للمناطق الأقل في عدد السكان، وأن العوامل المؤثرة في السكان هي: نقص الغداء، الحرب، الزواج المبكر، والتكاليف المبالغ فيها عند الزواج[18].

هذا وقد لاقت أفكار وتعاليم كنفوشيوس في الصين رواجا كبيرا، خاصة فيما يتعلق بالعنصر السكاني وآثاره وانعكاساته وطرق معالجته، حيث أكد كنفوشيوس أن القدر يحكم حياة الناس، وأن الناس يتمايزون من خلال تربيتهم. كما أشار في كتاباته بأنه لكي نعرف الجديد لا بد من دراسة القديم، وقد حدد مهمة الحكومة ودورها فيما يتعلق بالسكان وحياتهم في تحقيق ثلاثة أمور هامة وهي:

أن يكون لدى السكان كفايتهم من الطعام.

أن يكون لدى السكان كفايتهم من العتاد الحربي.

---

[18]مصطفى عمر حمادة، **دراسات في علم السكان**، (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية، 2008)،ص.123.

أن يكون لدى السكان الثقة بحكامهم .

وقد حدد مهمة الحكومة الصالحة بالسعي إلى تأمين الاكتفاء الذاتي للمجتمع، وضرورة توزيع الثروات على الناس وبشكل عادل، وذلك لأن تكديس الثروة بيد قلة من الناس سيؤدي إلى تفرقة الشعب واثارة البغضاء بينهم. كما نوه كنفوشيوس إلى ضرورة التخفيف من وطأة العقاب وايجاد قوانين متوازنة غير قاسية بحق الشعب. كذلك شدد على أهمية نشر التعليم بين الناس كونه يرفع مستواهم الفكري والعقلي، ويسهم في غرس الأخلاق الطيبة والنبيلة بينهم[19].

وعزا كنفوشيوس الذي عرف فيما بعد بحكيم الصين العظيم انخفاض النمو السكاني إلى ظاهرة الزواج المبكر الذي يترتب عنه من وجهة نظره، ارتفاع في مستويات وفيات الأطفال، ويمكن تلخيص أهم أفكار كنفوشيوس في موضوع السكان في النقاط التالية:

أكد أن من واجب الحكومة أن تنقل السكان من المناطق الأكثر سكانا إلى المناطق الأقل سكانا.

إن القدر يحكم حياة الناس، وأن الناس يتمايزون من خلال تربيتهم.

أن هناك عوامل مؤثرة في العمليات السكانية نقص الغداء، الحرب، الزواج المبكر، والتكاليف المبالغ فيها عند الزواج.

2/ أفلاطون(Blaton)(427- 347 ق.م):

كان موضوع الحجم الأمثل للسكان في الوحدة السياسية اليونانية ونعني المدينة أو الدولة بالمعنى الذي تقوم فيه الحكومة بالمحافظة على رفاهية وامن المواطنين من خلال ما تمارسه من ارادة في هذا الصدد، هو المحور الذي دارت حوله كل الأفكار التي تركها أفلاطون في مؤلفاته (الجمهورية والقوانين)، فيما يتعلق بدراسة السكان.

---

[19] منير عبد الله كرادشة، **علم السكان(الديموغرافيا الاجتماعية)**، ط1، (إربد: عالم الكتب الحديث، 2009)، ص.24.

حيث نجد أفلاطون يشير في كتابه الجمهورية لإلى أنه ينبغي على الحكام أن يثبتوا عدد السكان عند حد أمثل، على أن يعوضوا ما فقد من جراء الأمراض والحروب، و يحاولوا ألا يزيد هذا العدد عن الحد الأمثل، حتى تبقى الدولة في الحد المتوسط، وذلك عن طريق تنظيم عقود الزواج[20].

ويفصل أفلاطون أكثر في هذا الموضوع من خلال كتابه القوانين، مركزا على مقدار العدد الأمثل للسكان في المدينة، ومبرراته ومن حيث الأساليب التي يمكن بها للحكومة أن تضغط من أجل الحفاظ على هذا الحد، فذهب إلى أن العدد الأمثل للمواطنين في المدينة يجب أن يكون (5040) مواطن مع ملاحظة ان العبيد لا يحسبون ضمن المواطنين. ويوضح أفلاطون مبررات اختياره لهذا العدد على انه حدا أمثل قائلا: ان هذا العدد يقبل القسمة على كل الأعداد من الرقم(1 – 10)، كما انه يقبل القسمة على الرقم(12)، ولإمكانية قبول هذا العدد الأمثل القسمة على(12) على وجه الخصوص، له أهمية في نظر أفلاطون، لأنه كان يعتقد أنه من المناسب تقسيم أراضي المدينة اليونانية إلى اثني عشر جزءا هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان أفلاطون يظن أن لهذا العدد الأمثل دلالة ومغزى دينيا وأسطوريا لدى المواطنين الأمر الذي يؤدي بالمواطنين إلى تقديس هذا العدد في حياتهم[21].

أما بالنسبة إلى الأساليب التي يمكن للحكومة بواسطتها أن تضغط من أجل الحفاظ على هذا الحد نجد أفلاطون يقرر أنه إذا زاد عدد سكان المدينة على الحد الامثل يجب ان يتدخل الحكام لانقاصه عن طريق تحديد الزواج والنسل ومنع الهجرة إلى البلاد، وإذا نقص عدد سكان المدينة عن هذا الحد يجب تشجيع النسل، وأن تجازى الأسر

---

[20] على عبد الرازق جلبي، **علم اجتماع السكان**، (الأزاريطة: دار المعرفة الجامعية، 2009)، مرجع سابق، ص.67.

[21] المرجع السابق، ص.68.

المنسلة بالمال. ويباح للأجانب التجنس بالجنسية اليونانية، وتستطيع الدولة ان تتدخل لتدبير الزواج والنسل من خلال وضع القيود التي تحول دون ذلك، كأن تقصر وراثة الأرض على عدد محدود فقط من الأبناء الذكور في الأسرة، وتحصل الحكومة على ما يزيد على ذلك، او من خلال توقيع الجزاءات أو تقديم النصيحة أو توجيه التوبيخ واللوم أو حتى عن طريق ارسال الأعداد الزائدة عن الحد من السكان إلى المستعمرات.

ولقد أكد أفلاطون بأنه من أجل الحفاظ على الوحدة في الدولة لا بد من سن قوانين تتضمن أربع نقاط أساسية:

أولا: اشتراكية النساء والأطفال، فجميع النساء هن زوجات لجميع الرجال وأغلب هذه الزيجات يقرها الحكام ويربى الأطفال معا على أن لا يعرف أي طفل من هما أبواه، او أن يعرف أي شخص من هم أبناؤه، أما أولئك الذين يولدون من زيجات لم يقرها الحاكم فيغدون أبناء(غير شرعيين). هذا وقد طالب أفلاطون يالتخلص من الأطفال والمواليد المشوهين والمنتمين إلى سلالات هابطة، وهكذا على حد قوله تقوى المشاعر الخاصة وتشتد الروح العامة.

ثانيا: هو ممارسة التمارين الرياضية والخلقية للرجال والنساء.

ثاللثا: التربية العلمية والسياسية.

رابعا: تأمين قيادة الدولة من قبل فلاسفة، فهم من منظور أفلاطون أعظم الناس، وفيهم الصفوة المختارة، وبفضل ثقافتهم وحرصهم على المعرفة تستطيع الدولة أن تتقدم. فالدولة من وجهة نظر أفلاطون لا تصلح إلا إذا حكمها فيلسوف أو إذا درس الحاكم الفلسفة وبذلك تتحقق الجمهورية أو المدينة الفاضلة[22].

[22] منير عبد الله كرادشة، مرجع سابق، ص.27.

أما مسألة الجماع من وجهة نظر أفلاطون فيكون بالقرعة تحت رقابة اولي الأمر، بهدف إنجاب نسل منتخب. وهنا يؤكد أفلاطون أنه لا يكفي تعليم الطفل تعليما حسنا، بل ينبغي أن نختار له أبوين قويين وبهذا الشأن يؤكد أفلاطون:

لا يتناسل رجل وامرأة إلا إذا كانا بصحة جيدة.

يطلب من كل عريس وعروس تقديم شهادة تثبت صحتهم.

يفضل ان ينجب الرجل بين سن الثلاثين والخامسة والأربعين.

الرجال الذين بلغوا سن الخامسة والثلاثين ولم يتزوجوا يدفعون ضريبة سميت آنذاك بضريبة الهناء.

زواج الأقارب محظور، كونه يضعف النسل.

يحبذ أفلاطون أن يكثر الأقوياء من التزاوج لإنجاب أكبر عدد ممكن من الأطفال الأقوياء.

3/أرسطو (Aristote)(384- 322ق.م):

من المعروف أن أرسطو هو ثالث المفكرين العظماء الذين عاشوا في أثينا، ونتيجة إسهاماته الكبيرة في الفكر الفلسفي فقد لقب بالمعلم الأول، ولد خارج أثينا ولكنه أوفد إليها في الثامنة عشرة من عمرة ليتلقى العلم على يد أفلاطون في الأكاديمية التي قضى فيها عشرين عاما، وأخرج خلال تلك الفترة كتابه عن تصنيف الحيوان اتجه في معالجته لموضوع السكان اتجاها أكثر واقعية من أستاذه أفلاطون حيث صنف السكان على أساس:

يشير لتوزيع السكان على وحدات المجتمع ويقسمها (أسرة، قرية، مدينة).

يعالج موضوع توزيع السكان على المهن ويقسم المهن لمهن طبيعية مثل(الصيد والزراعة) وغير طبيعية(التجارة والصناعة)، كما تناول التوزيع العمري للسكان وأجرى تفرقة بين الرجل والمرأة في الاستعدادات الجسمية والعقلية.

ويحذر أرسطو من النمو غير المناسب بين طبقات المدينة، فيشبه المدينة بجسم الانسان. كما ينمو جسم الانسان فيجب أن ينمو السكان بتناسب مماثل بحيث لا يطغى عدد السكان في طبقة على اخرى[23].

اشترط أن يكون مواطنوا الدولة المنشودة من الإغريق، لأنه يعتقد أنهم وحدهم هم الذين يجمعون بين حيوية الشعوب الشمالية وذكاء الشعوب الشرقية.

أما من حيث موضوع السكان، فقد حذر كما ذكرت سابقا من النمو غير المتناسب بين طبقات المدينة لما يترتب على ذلك من ثورات ومشكلات متنوعة. وعلى الرغم من أن أرسكو كان تلميذ أفلاطون، إلا أنه لم يحدد الحجم الأمثل للسكان على عكس أفلاطون، حيث أكد أرسطو أن الدولة العظمى ليست ذات الحجم الكبير من ناحية العدد السكاني، ورأى أن من الضرورة أن تتدخل الدولة بأساليب متنوعة لتحقيق التناسب بين حجم سكان المدينة وبين مواردهم، وخاصة مساحة الأرض وقدرتها على اشباع حاجات السكان ولتحقيق ذلك نراه يوافق على الإجهاض، والتخلص من أي طفل يولد وفيه عيب التكوين[24].

وقد عارض أرسطو فكرة المعسكرات التي فرضها أفلاطون على الفلاسفة، كما سخر من فكرة المجتمع المفتوح فحين يكون كل الناس إخوة هذا يعني أنه ليس لك أخ حقيقي، وفي الدولة التي يشترك فيها النساء والأطفال يكون الحب مائعا حسب رأيه،

---

[23] مصطفى عمر حمادة، **دراسات في علم السكان**، مرجع سابق،ص.124.

[24] على عبد الرازق جلبي، **علم اجتماع السكان**، مرجع سابق، ص.69.بتصرف.

فمن الصعب أن يشترك الناس في كل شيء. ولقد اهتم أرسطو بقضية الحجم الأمثل للسكان، فقد وقف موقفا مؤيدا لسياسة تحديد النسل، حيث يرى أن خير ضمان للإبقاء على الخطوط الرئيسية لهذه السياسة، يكمن في تبرير عملية الاجهاض، باعتبارها عملية ضرورية للحفاظ على الحد الأنسب من السكان وبشكل يتوازي مع إمكانية وقدرات الدولة ومواردها. ويؤكد هنا على ضرورة التخلص من الأطفال المشوهين خلقيا والمنحدرين من سفاح المحارم[25].

أما عن توقيت العمر الذي يفترض أن تبدأ عنده الاتحادات الزواجية، وتوقيت العمر عند بدأ الإنجاب على عملية الحمل وعلى ظروف الأمهات الصحية، يؤكد أرسطو على ضرورة عدم التبكير في العمر عند الزواج، لأن ذلك يضر بالثمرات التي تجيء منه على اعتبار أن البلاد التي يتزوج سبابها بسن مبكرة تأتي ثمراتهم هزيلة. كما يضيف أن حمل النساء وهن بأعمارا متقدمة شأنهن في ذلك شأن حديثات السن، لا يأتون إلا بثمرات ضعيفة وناقصة جسما وعقلا، حيث لا ينفع فيهم العلاج[26].

4/ <u>الفكر السكاني في الديانات السماوية:</u>

لقد اهتمت الأديان السماوية بالقضايا السكانية، ولقد كان الناس يعتقدون أن الزيادة السكانية توحي برضى الله عليهم، فقد اهتمت الأديان السماوية بالقضايا البشرية، وتجلى هذا الاهتمام في الكتب السماوية، ففي التوراة أوصى الله تعالى سيدنا آدم بزيادة النسل، فذكر(فخلق الله الانسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكرا وأنثى خلقهم وباركهم الله، وقال لهم أثمروا وأكثروا، واملأوا الأرض وأخضعوها...)[27] فالعقم في

---

[25]منير عبد الله كرادشة، **<u>علم السكان(الديموغرافيا الاجتماعية)</u>**، مرجع سابق، ص.31.

[26]المرجع السابق، ص.32.

[27]فراس عباس فاضل البياتي، **<u>الاتجاهات النظرية الحديثة في علم اجتماع السكان</u>**، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2011)،ص.17.

الديانة اليهودية يعد كبيرة، لأن الأطفال تراث الله وسهام في يد الرجل القوي، وحضت هذه الديانة على زيادة النسل.

وفي المسيحية، انصبت الاهتمامات السكانية على زيادة النسل وكثرة الانجاب ومنعت الاجهاض منعا باتا.

أما في الديانة الاسلامية، فقد جاءت بالكثير من الآيات القرآنية التي تدعوا إلى زيادة النسل، يقول عزوجل:" المال والبنون زينة الحياة الدنيا"[28] ويقول:" ولا تقتوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم"[29]

ومع ظهور الاسلام كخاتمة للديانات السماوية، عملت على تغيير الكثير من المعايير والعادات والتقاليد والسلوكات التي نهى عنها الإسلام، كما عمد الاسلام إلى دعم سلوكات أخرى وأبقى على أخرى كانت موجودة منذ الجاهلية، سيما في الجانب الديموغرافي، فلقد حرم وأد البنات، وهو سلوك وعادة سيئة مارسها عرب الجاهلية، كما دعم كثر النسل وزيادة الانجاب وهي ظاهرة عرفتها عرب الجاهلية كذلك.

ولقد تناول المفكرون المسلمون قضايا السكان في مجمل دراساتهم وتحليلاتهم الاجماعية والاقتصادية والقضائية. وقد تحدد الموقف منها بشكل عام بتأثير من الشريعة الإسلامية، فالإسلام كما هو معروف يحث على الزواج وكثرة النسل كما أشرنا سابقا، يقول عزوجل" وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم"[30]

---

[28] سورة الكهف، الآية 46.

[29] سورة الإسراء، الآية31.

[30] سورة النور، الآية 32.

ويرى الباحثون الذين حاولوا تقويم الفكر السكاني في الفكر الإسلامي أن الشريعة الإسلامية لم تقف عند حد حساب الجوانب الأخلاقية والأدبية، فهي إلى جانب ذلك وضعت المسألة السكانية ضمن موقعها ومحيطها الواسع وهو الاقتصاد. فالنصوص التي تشير إلى تشجيع النسل كثيرة جدا لدرجة أنها تمثل المبدأ الإسلامي العام، ويلاحظ من جانب آخر ثمة ربط بين مسائل السكان والعامل الاقتصادي. وخلاصة الموقف أن النمو السكاني في الإسلام أمر مستحب إذا ما كان مصحوبا بالرفاهية ويجب الحد منه وتنظيمه إذا ما أصبح سببا في الفقر"[31]. وقد أبيح كما هو معروف العزل في الاسلام كوسيلة لتنظيم النسل، ويمكن أن نوجز أهم الخصائص الرئيسية للفكر السكاني في الاسلام فيما يلي:

يتضح من جملة التشريعات الإسلامية أنها قد تناولت المسألة السكانية بنظرة شمولية تضمنت الجوانب الأدبية والأخلاقية من جانب والمادية الاقتصادية من جانب آخر.

لعل مشروعية الطلاق رغم محدوديته، والزواج مرة ثانية رغم شروطه وتعدد الزوجات رغم ضوابطه تلخص بعض الجوانب الأخلاقية المنوه عنها.

لا شك أن تحريم الإجهاض والوأد والإهمال حتى الموت تمثل هي الأخرى بعض الجوانب الأخلاقية للمسألة.

تشجيع الإسلام للنمو السكاني يتضح من تشجيعه للزواج.

تتلخص الجوانب المادية الاقتصادية في العديد من الظواهر ومنها محددات الزواج فلا يمكن أن يتم ولا يجوز شرعا إلا بشرط توفر القدرة والامكانات على إعالة الزوجة، كما أن من ضوابط الطلاق النفقة ومن محددات تعدد الزوجات شروط المعاملة المتساوية

---

[31] عبد علي الخفاف ومحمد أحمد عقلة المومني، **جغرافية السكان**(دراسة في أدب السكان وديموغرافية الوطن العربي)، ط1، (الأردن: دار الكندي للنشر، 2001)، ص.27.

بما في ذلك المعاملة المادية ومن محددات الإنجاب القدرة على الاعالة[32]. أما عن أشهر مفكري الفكر السكاني الإسلامي فنجد العلامة إبن خلدون.

5/ الفكر السكاني عند ابن خلدون:

يقدم لنا عبد الرحمن ابن خلدون المفكر الاجتماعي العربي، في غضون القرن الرابع عشر الميلادي، بعض الأفكار التي أثرت فيما بعد في تطوير الاهتمام بدراسة السكان. حيث يذهب ابن خلدون إلى أن المجتمعات تمر خلال مراحل تطورية محددة تؤثر على عدد المواليد والوفيات في كل مرحلة. إذ يشهد المجتمع في المرحلة الأولى من تطوره زيادة معدلات المواليد ونقص في معدلات الوفيات، بما يؤثر على نمو السكان ويزيد عددهم. وعندما ينتقل المجتمع إلى المرحلة الأخيرة من تطوره، يشهد ظروفا ديموغرافية مخالفة تماما، حيث ينخفض فيها معدل الخصوبة والمواليد ويرتفع معدل الوفيات...ويوضح ابن خلدون تأثير كل مرحلة من تطور المجتمع على المواليد والوفيات، وذلك باعتقاده في أن الخصوبة العالية في المرحلة الأولى من تطور المجتمع ترجع إلى نشاط السكان وثقتهم ومقدرتهم. أما في المرحلة الأخيرة من تطور المجتمع فتظهر المجاعات والأوبئة والثورات والاضطرابات، مما يقلل من نشاط السكان ويقل نسلهم[33].

6-الفكر السكاني في القرن السابع عشر:

إذا تأملنا التاريخ الحديث، وجدنا أنه منذ بدء القرن السادس عشر وحتى وقت ظهور مقال مالتوس في السكان عام 1798م، ظهرت آراء كثيرة عن السكان وتعددت وجهات النظر عن زيادة عدد السكان، وما إذا كانت خيرا يجب التشجيع عليه، أو شرا

---

[32] المرجع السابق، ص.27.

[33] على عبد الرازق جلبي، **علم اجتماع السكان**،مرجع سابق،ص.70.

يجب محاربته، وقد كانت القوة هو الاعتبار السائد الذي كانت تضعه الدول في المحل الأول كدعامة لسياستها الخارجية وعظمتها بين الدول الأخرى. ولقد ساد هذا المبدأ مدة قرنين من الزمان منذ منتصف القرن السادس عشر، حين كان التفكير السياسي في أروبا واقعا تحت تأثير التجاريين الذين كانوا يشجعون كثرة السكان وقد تحول غرب أروبا إلى دول قوية وحكومات مركزية تدير دفة التجارة والصناعة للمصلحة القومية. وفي هذه الأثناء كشف كولومبوس وفاسو ديجاما الكنوز الموجودة فيما وراء البحار، وكان هم كل دولة السيادة على الدول الأخرى. وكانت السيادة بدورها قائمة على الثروة التي كانت ضرورية للجيش ووسائل الدفاع الأخرى، مما جعل التجاريين يفكرون في مشروعات تغني دولهم بالمعادن النفيسة. ولما كانت هذه المشروعات تحتاج إلى أيدى عاملة كثيرة وكانت السيطرة السياسية تحتاج إلى جنود، وبحارة كثيرين، اقتضى الأمر تشجيع كثرة السكان بشتى الوسائل إلى درجة أن بعض الحكومات سنت قوانيين لهذا الغرض،" ففي عهد الملكة اليزابيت، سنت قوانين تحد من حرية العزاب، ويلزم كل بائع ناقل للجبن والزبد للبيوت باستخراج تصريح إذا كان أعزبا، أما إذا كان متزوجا فيعفى من ذلك، وفي كثير من المدن الالمانية كانت هناك وظائف عامة معنية لا يشغلها إلا المتزوجون، كما نص القانون في بعض المناطق على أن تؤول ملكية الأعزب المتوفي إلى الدولة ما لم يكن له ولدان أو إخوة أو أخوات غير متزوجات على قيد الحياة، كما شجع بعض القوانين على الزواج والانجاب تشجيعا مباشرا وذلك مثل قانون كولبير لسنة 1666م، الذي نص على إعفاء كل من يتزوج قبل العشرين من الضرائب إلى أن يبلغ الخامسة والعشرين، كما أعفى من الضرائب كلية كل من كان له عشرة أطفال شرعيون أحياء، بشرط ألا يكونوا قساوسة"[34]

السيد عبد العاطي السيد، **علم اجتماع السكان**، (الأزاريطة: دار المعرفة الجامعية، 2006)، ص.34.90

وعليه فقد تركز الفكر السكاني لدى الفلاسفة الاجتماعيين والسياسيين الأروبيين حول تأكيد فكرة علاقة السكان بالمجتمع وخاصة في الجانب الاقتصادي ، تلك العلاقة التي أوضحتها الفلسفة المركنتلية[35]، فهي المدرسة التي كانت ترى أن عماد الثروة لأي شعب من الشعوب إنما يتمثل فيما يملكه من معادن نفيسة. وأنه لكي تزداد هذه الثروة فإن الميزان التجاري للدولة يجب أن يحقق فائضا، أي أن تكون الصادرات أكبر من الواردات. وأن هذا الفائض يتعاظم كلما شجعت الدولة الصناعات والأنشطة المشتغلة بالتصدير"[36]، فقد أصبح واضحا جدا مما حققه الميدان التجاري الجديد من تقدم متمثل في كل صفقة تتم. ومنذ ذلك الحين انتهت الدولة كمؤسسة إديولوجية أو دينية كما كانت من قبل لتصبح قوة اقتصادية، "فقد أصبح الهدف الرئيسي للإنسان الانجليزي في ذلك المناخ الديناميكي للأعمال هو جمع الثروة، وتكوين أسرة كبيرة تشتري مركزا اجتماعيا ثابتا وطيدا. وتعبيرا عن ذلك الواقع كتب الروائي الإنجليزي صموليت Smolett.يقول:" لا يمكن أن يكتسب المرء الإحترام والكرامة والمصلحة دون نقود"[37].

والمعلوم أن أهم ميزة صبغت القرن السابع عشر هي تقدم العلوم الطبيعية والتي تعتمد كثيرا على الاحصاء بفضل مجهودات بيكون في أوائل هذا القرن ونيوتن في أواخره، كما ظهر ملوك يتقنون الأساليب الإدارية العلمية ومن ثم عملوا على تنظيم البلاد داخليا بالاعتماد على الأرقام وتنظيم الجيوش أيضا ومتطلباتها بهذا الأسلوب مثل لويس الرابع عشر ملك فرنسا حينئذ وبطرس الأكبر ملك روسيا...أما في انجلترا فقد ظهر علم جديد للسكان ولكنه أخذ إسما آخر وهو علم الحساب السياسي في حين

---

35 المركنتلية: (Mercantilism)، يعرفها المنجد في اللغة العربية المعاصرة بأنها:" النزعة للمتاجرة من غير اهتمام بأي شيئ آخر"، وهي مذهب سياسي اقتصادي ساد في أروبا فيما بين بداية القرن السادس عشر ومنتصف القرن الثامن عشر.

36 رمزي زكي، **المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية الجديدة**، العدد84، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1984)، ص.17.

37 جيمس بيرك، **عندما تغير العالم**، ترجمة: ليلى الجبالى، سلسلة عالم المعرفة 185، (الكويت، 1994)، ص.183.

موضوعه يدور حول الحساب الاجتماعي، لإن في هذه الفترة كانت كلمة سياسي تقابل كلمة اجتماعي، ويقول السيد عبد العاطي السيد، أنه من الناحية التاريخية هناك أربع عوامل أساسية تفسر نشأة علم السكان وهي:

الاهتمام بدراسة العمليات السكانية كظاهرة طبيعية ذات انتظامات متكررة تستحق الملاحظة والتأمل.

ظهور وتطور الوسائل الفنية لتسجيل الأحداث الحيوية والتقديرات السكانية واستخدامها للأغراض المدنية والادارة. وقد حدث ذلك في أروبا في القرن التاسع عشر.

الإهتمامات الأولية – الخاصة والعامة– بدراسة قياس وضبط الاوبئة والأمراض والوفيات، تلك الاهتمامات التي بدأت في أروبا الغربية منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر.

المحاولات التي بذلت لصياغة وتطبيق عدد من التعميمات التي تدور حول العلاقة المتبادلة بين التغيرات السكانية والتغير الاجتماعي والسياسي، تلك المحاولات التي بدأت بالدراسات التي قام بها مالتوس"[38]

ولقد تزامن ظهور وانتشار الفكر المركنتلي(التجاري) في القرن السابع عشر، تكوين جماعة من الدارسين والكتاب أطلقوا على أنفسهم أسم الحاسبون السياسيون Political Arithmeticians، وبطبيعة الحال كان من بين هذه الجماعة من تابع أفكار معاصريهم من المركنتلين، إلا أن الاختلاف الجوهري بين الجماعتين تمثل في أن التجاريون كانوا فلاسفة ومنظرين اقتصاديين، بينما كان نظرائهم من الحاسبين السياسيين باحثين وعلماء. فقد تأثرت جماعة الحساب السياسي ببدايات العصر العلمي وخاصة بعد أن رسخت أقدام البحث العلمي في مجال الفيزياء مع تأكيده على

---

[38] السيد عبد العاطي السيد، **علم اجتماع السكان**، مرجع سابق، ص.92.

الملاحظة والتجربة كأساليب للبحث العلمي توجب اتباعها. وبالرغم التأكيد على الدراسة العلمية، وضرورة استخدام المنهج العلمي لاستخلاص الحقائق المرتبطة بالسكان، إلا أنها بقيت مجرد هدفا من الأهداف التي سعت جماعة الحساب السياسيين إلى تحقيقها. ويعتبر جون جرونت الذي نشر كتابه الأول عام 1662م بعنوان "ملاحظات طبيعية وسياسية حول قوائم الوفيات أو الموتى" وسير وليام بيتي، الذي ارتبط اسمه بمصطلح الحساب السياسي، أبرز شخصيتين في حركة الحساب السياسي البرطانية.

6-1- جون جرونت John Graunt:

إن من بين أهم الأعمال العلمية التي ظهرت في القرن السابع عشر هو ما نشره جون جرونت عام 1662م من ملاحظات سياسية وطبيعية على قوائم الموتى وبذلك العمل يرى البعض أنه حقق إحدى المراحل الكبرى في تطور علم السكان، ويرى البعض الآخر أن جرونت بعمله هذا لم يؤسس علم السكان فحسب بل مؤسس علم الاحصاء أيضا.

إن الموضوع الذي نشره جرونت اعتمد على المنهج العلمي الديموغرافي بشكل دقيق ولعل أدب العلم لم يشهد مثل هذا الموضوع قبل ملاحظات جرونت، فيقول الدكتوران، عبد علي الخفاف ومحمد أحمد عقلة المومني:" فهو برأينا مؤسس علم الديموغرافيا – علم السكان– ونرى أن السبب في إقتران هذا العلم بمالتوس يعود إلى طبيعة الفرضيات التشاؤمية التي تحدث عنها والتي كانت السبب في رد فعل متنوع وواسع ما بين مؤيد له ومعترض ومهاجم لأفكاره. إن رد الفعل الشديد والصاخب هذا هو الذي غطى على أعمال من سبقته ومن بينه جرونت"[39]

---

[39] عبد علي الخفاف ومحمد أحمد عقلة المومني، **جغرافية السكان**، مرجع سابق، ص.31.

ويشير مصطلح "قوائم الموتى" الذي تضمنه عنوان كتاب جرونت إلى التقارير الأسبوعية لحالات الوفيات التي حدثت في مقاطعات أبرشيات لندن وقد بدأت هذه التقارير، التي كانت في الواقع تقارير للجنازات أو حالات الدفن، خلال فترة إنتشار مرض الطاعون في إنجلترا. "وفي هذا الصدد أمكن تقدير خطورة إنتشار الطاعون وحدته بحساب عدد الوفيات الناجمة عن الاصابة بهذا المرض وفصلها عن باقي حالات الوفيات التي ترجع لأسباب أخرى. ومع أن قوائم الموتى كانت قد أعدت في بادئ الأمر خلال هذه الفترة وبالتحديد منذ 1563م، إلا أنها ظلت تنتشر بطريقة منتظمة"[40].

ومن خلال هذه المعطيات المسحية حول قوائم الموتى، استطاع جرونت أن يستخلص جملة من الملاحظات المتعمقة حول سكان انجلترا، ونشير أنه حتى هذا الوقت(القرن السابع عشر)، لم يكن هناك شيئا يمكن معرفته عن السكان ودياناتهم، إذ لم يكم حجم سكان مدينة لندن ولا حتى اجمالي عدد سكان انجلترا معروفا ذلك الوقت. ولكن جرونت ومن خلال استخدامه للمعطيات المتاحة حول عدد المواليد زالوفيات وأعداد المساكن في مدينة لندن، توصل بهذا إلى تقديرات سكانية صحيحة من الناحية العلمية، فقد استطاع جرونت وعن طريق استخدامه لمتوسط أعداد حالات التعميد المسيحي على مدار سنين عدة أن يقدر عدد النساء القادرات على الحمل، وعن طريق هذا العدد تمكن من تقدير اجمالي عدد الاناث البالغات، ومن خلال ذلك استطاع أيضا أن يقدر اجمالي عدد الأسر التي تعيش في المدينة.

كما ننوه أن جرونت لم يكن مقتنعا بتقديرا واحد للسكان، حيث استخدم أيضا متوسط عدد حالات الوفيات السنوية كأساس لتقدير اجمالي عدد الأسر. فقد اعتقد أن

---

[40] السيد عبد العاطي السيد، **علم اجتماع السكان**، مرجع سابق، ص.96.

هناك ما يقرب من ثلاث حالات وفيات لكل أحد عشر أسرة. ولأنه عرف مقدما أن هناك 13 ألف حالة وفاة سنويا إستطاع بقسمة هذا العدد على 3 وضروبا في 11 أسرة أن يصل إلى تقدير عدد الأسر، ثم ضرب عدد الأسر في متوسط حجم الأسرة والذي قدره مسبقا بثمانية، لينتهي إلى تقدير عدد السكان الذين يعيشون في مدينة لندن.

كما بين جرونت ما للهجرة من أهمية، حيث وضح أن السكان يتنقلون من المناطق الريفية إلى المدينة، وهذا يعتبر عامل أساسي في زيادة السكان. وقد بنى جرونت رؤيته هذه على أنه غذا كانت حالات الوفاة في لندن تزيد على حالات الولادة كل عام، في الوقت الذي يزداد فيه عدد الوحدات السكنية عاما بعد عام، لذلك فإن النمو السكاني يرجع بالضرورة إلى حالات الهجرة.

ولقد سجل جرونت أعماله من خلال العديد من الملاحظات بلغت حوالي 106 ملاحظة، في معظمها استنباطية، جاءت نتيجة لدراسة القوائم المختلفة التي جمعها خلال أبحاثه، وأثبتتها الجداول الشاملة التي وضعها، ومن بين هذه الملاحظات نجد:

هناك هجرة كبيرة من الريف إلى المدينة (ملاحظات: 37، 46، 47، 58، 66، 89).

هذه الهجرة تختار القادرين على الانجاب، أي أشخاص في سن الانجاب (ملاحظات: 46، 50).

الزيادة الطبيعية في الريف (ملاحظات: 43، 44) أعلى منها في المدينة.

معدل التوالد في المناطق الريفية أعلى منه في المناطق الحضرية (ملاحظات: 49، 50، 51).

كما لاحظ جرونت أن معدلات الوفيات في الحضر أعلى منها في الريف، وقد استمرت هذه الملاحظة صحيحة في كثير من أنحاء العالم[41].

6-2- سير وليام بيتي Sir William Petty (1623 -1687):

كان السير ويليام بيتي أكثر إهتماما بالمسائل السياسية من جرونت، فقد كشفت كتاباته عن مدى انشغاله بالحياة السياسية في عصره، واستطاع على مر السنين أن يصبح واحدا من رجالات انجلترا المرموقين خلال القرن السابع عشر. لقد كانت المنح والهدايا تغدق عليه من رؤساء الحكومات منذ عهد كرمويل حتى بعد عهد الملك تشارلز تقديرا لجهوده وأعماله، حتى أنه قلد فارسا سنة 1661م ومنح مساحات كبيرة من الأرض في ارلندة[42].

لقد كتب السير بيتي مقالته في الحساب السياسي ليخبر الملك ويزوده بمعلومات عن موارد بلده وشعبه وتجارته، وعندما بدأ في وصف سكان انجلترا، كانت غايته الأساسية أن يخبر الملك بكل أحوال البلاد ومقارنتهم بسكان فرنسا وهولندا. وقد اعتمدت مقارناته على التركيز على القوة العسكرية وعلى أهمية السكان كقوة اقتصادية، وعليه فقد خلصت حساباته إلى أن المواطن الانجليزيقدر ماليا في المتوسط ما يساوي ثمانين جنيها استرلينيا من الفضة وقد توصل إلى هذه النتيجة عن طريق حساب مجموع القوى العاملة (التي يجب أن تضاف في نظره إلى الدخل القومي)مقسوما على اجمالي عدد السكان، مبينا بذلك مدى الخسائر التي تلقى على عاتق التاج البريطاني من جراء الحروب أو الأوبئة مثل الطاعون.

---

[41] المرجع السابق، ص.103.

[42] المرجع السابق، ص.103.

وقد نشر بيتي مقاله حول التشريح السياسي لإرلندا، حلل فيه القيمة المادية لأراضي وسكان ايرلنده، موضحا أن سكان هذه البلاد الا يتساوون في قيمتهم مع السكان الانجليز، وعند تعرضه للحديث عن عدد سكان ايرلنده الذين فقدوا في حركات التمرد، حدد لكل منهم قيمة تساوي قيمة العبيد أو الزنوج أي ما يقدر بحوالي 15 جنيه استرليني.

وفي الوقت الذي أكد فيه بيتي على الأهمية السياسية والاقتصادية للسكان، قام ببعض الجهود التي تنتمي إلى مجال الديموغرافيا، إذ استخدم سجلات ضرائب المساكن في ايرلنده لتقدير اجمالي عدد السكان إبان منتصف القرن السابع عشر مع العلم أن تقديراته كانت أقل بكثير عما أوضحه الدارسون بعد ذلك لأنه قام بعد المساكن المسجلة في سجلات الضرائب فقط ولم يأخذ في الاعتبار المساكن التي لم تكن مقيدة.

7-الفكر السكاني في القرن الثامن عشر:

لقد ظهرت في هذا القرن أفكار المدرسة التجارية، وهي مدرسة اقتصادية سياسية ظهرت وانتشرت أفكارها منذ منتصف القرن السادس عشر، حيث وقع التفكير السياسي في أوروبا تحت تأثيرها. وموقف هذه المدرسة من قضايا السكان يتحدد بالتشجيع على الحجم السكاني الكبير والمتزايد وذلك لما تعتقده في مثل هذا الحجم من مزايا اقتصادية وسياسية وعسكرية. "ولفرض تحقيق وجهة النظر هذه أيدت هذه المدرسة جميع الاجراءات التي من شأنها دعم نمو السكان وتزايدهم مثل الاجراءات التي تحد من العزوبية والتشريعات التي تشجع الاقبال على الزواج والانجاب والحد من الهجرة إلى الخارج وتشجيع الهجرة إلى الداخل بالنسبة إلى الأجانب وتحسين الصحة العامة"[43]

[43] عبد علي الخفاف ومحمد أحمد عقلة المومني، **جغرافية السكان**،مرجع سابق، ص.32.

إن الاهتمام الكبير لهذه المدرسة تركز على الوسائل الكفيلة لزيادة ثروة وقوة للدولة بصفة عامة وما فيها من معادن ثمينة بشكل خاص. وهي ترى أن من بين هذه الوسائل زيادة نمو السكان إذ عن طريق هذا النمو يزداد عرض سوق العمل وهذا بطبيعة الحال يؤدي ‘لى خفض معدل الأجور في الساعة مما يدفع العمال للعمل إلى ساعات أطول، ومن ثم يزداد الفرق بين الدخل القومي والأجور الكلية. ومنه نخلص أن التجاريين لم يعيروا اهتمام لزيادة متوسط دخل الفرد بمقدار ما كان يشغل اهتمامهم زيادة الدخل القومي وتطور قوة ونفوذ الدولة.

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر حصل رد فعل لأفكار المدرسة التجارية، حيث ظهرت المدرسة الطبيعية أو ما تسمى بالمدرسة الفيزيوقراطية، حيث كانت تؤمن بفكرة القوانين الطبيعية والنسق الطبيعية والنظام الطبيعي، ولذلك فإنها تدين بسياسة ترك الحبل على الغارب فيما يتصل بالسياسة السكانية وتنطوي على التحديد أو التحسين وتشجيع النسل، ذلك لأن لكل شيء في الحياة الاجتماعية يسير وفق الارادة الإلهية الخيرة، ولا سبيل لاعتراض المشيئة أو العناية الإلهية، لأن ذلك ليس في استطاعة البشر"[44]، والشيء المهم لدى هذه المدرسة هو أنها تناولت المسألة السكانية كظاهرة تخضه للنظام الطبيعي المقدس، وقد حاول أنصار هذا الاتجاه أن يدرسوا السكان دراسة وصفية تحليلية، وإن كانت قد ظلت هذه الدراسة ممتزجة بالقيم والأحكام المعيارية، ومتقيدة بالنظرية الأساسية في الحرية وفي العناية الإلهية.

ومن أهم مفكري القرن الثامن عشر حول السكان نجد كيني، الذي قام بدراسة وصفية تحليلية حول سكان فرنسا، وقد تبين له أن سكان فرنسا قد تقلصوا ما بين الفترة (1650– 1850)، كما لاحظ نزول في معدل الانتاج، فكانت أقدم محاولة تحديد

---

[44] أحمد الخشاب، **التفكير الاجتماعي**، مرجع سابق، ص.446.

معامل الارتباط بين عدد السكان والقدرة على الانتاج في تلك الفترة. ونتيجة لهبوط معدل الانتاج فقد جاءت نتيجة معامل الارتباط تؤكد أن انخفاض الانتاجية حصل بسبب هبوط عدد السكان. وخلص من دراسته الاقتصادية الديموغرافية إلى قاعدة عامة هي وجود علاقة مطردة بين تخلخل السكان وقلة الانتاج وتوصل إلى تحديد هذه العلاقة إلى مستوى الدولة التي يقل عدد سكانها بمقدار الثلث ينقص إنتاجها بمقدار الثلثين.

ونشير أن كيني الذي سبق مالتوس بحوالي الخمسين سنة في اعتباره أن الغداء أحد أهم محددات نمو السكان، والذي يرى أنه ليس للتناسل حدود غير القوت ومع ذلك فالتناسل يميل دوما إلى الخروج على هذه الحدود ولا أدل على ذلك من وجود أناس في فقر مدقع ومع ذلك لم يحل الفقر بينهم وبين التكاثر والتناسل، ثم أتي بعده توماس روبرت مالتوس ليوضح العلاقة البنائية بين مستقبل البشر المتزايدين وموارد الأرض المحدودة، وفيما يلي سنحاول أن نوضح أهم مرتكزات النظرية المالتوسية.

8- نظرية روبرت مالتوس:

هو أحد القساوسة الانجليز، ولد في انجلترا عام 1766 م، وتلقى تعليمًا خاصًا حتى التحق بجامعة كامبريدج في الثامنة عشرة من عمره، ثم تخرج عام 1787 م من الجامعة والتحق كاهنًا بالكنيسة عام 1797 م .ثم عين في عام 1805 م أستاذًا لتاريخ الاقتصاد السياسي في الكلية الهندية بلندن . واشتهر مالتس بما كتبه عن السكان، حتى لقب ب: (أبو علم السكان)، كما وضع ثلاثة كتب أخرى في الاقتصاد السياسي وعشرات المقالات الأخرى، وتوفي عام 1834 م .وكان قد أمضى عمره في ظل نظام رأسمالي.

يرى المختصون في علم السكان أن روبرت مالتس أول من أصل لمشكلات الموارد الغذائية والتزايد السكاني، وذلك في مقاله الشهير سنة 1798 م بعنوان:(مقال عن مبدأ السكان) ثم نشر مقالات أخرى نحو نفس المفهوم مع بعض التعديلات، وكان مفهوم نظريته المطروحة أن سكان العالم سيواجهون موقفًا صعبًا تكثر فيه المجاعات والتخلف وذلك لأن التزايد السكاني أكبر بكثير وبغير حدود من قدرة الأرض على إنتاج وسائل العيش .وذكر في مقولته المشهورة بأن الزيادة السكانية تتبع متوالية هندسية بينما زيادة الغذاء تتبع متوالية عددية أو حسابية[45].

ولتوضيح المتواليتين يضرب مالتس هذا المثال :إذا أخذنا الأرض كلها ..وفرضنا أن السكان الحاليين يعادلون ألف مليون فإن الأنواع البشرية سوف تتزايد حسب الأرقام: 1- 2- 4-8-16- 32- 64، .....بينما يزداد القوت حسب الأرقام: 1- 2- 3- 4- 5- 6- 7....وكانت الوحدات الزمنية التي تمثلها علامات الوصل(-) هي 25 سنة.

ولقد اعتقد مالتوس أن هناك من الموانع ما حال دون نمو السكان في الماضي بنسب هندسية في كل جيل، وقد قسم هذه الموانع إلى قسمين:

الموانع الايجابية:

وهي الموانع التي تؤثر في معدل الوفيات والتي تنشأ أساسا من ضغط السكان على وسائل العيش، وأبرز هذه الموانع الايجابية الأوبئة والحروب والمجاعات وغيرها

[45]محمد أبو زيد أبو زيد، **نظرة قرآنية في نظرية مالتوس السكانية**، مجلة التراث العربي، 1981، 1982، ص.50.

من الموانع التي يمكن ان تعزي إلى البؤس والرذيلة، وباختصار فقد رأى مالتوس أن الموانع الايجابية هي التي تبقي على الحياة التي بدأت فعلا[46].

الموانع الوقائية:

وهي الموانع التي تحول دون نمو السكان هي الأخرى، والتي تعمل على خفض معدل المواليد، وأبرزها ما أسماه مالتوس الضبط الأخلاقي(Moral Restraint) ويقصد به الامتناع عن الزواج أو تأجيله مع الاحتفاظ بسلوك عفيف طوال مدة الامتناع أو التأجيل. وقد اعتبر مالتوس أن تنأجيل الزواج كان وسيظل المانع الواقي الرئيسي.

ويعتبر البعض أن آراء مالتوس في السكان، وخاصة ما تضمنته أعماله التي ظهرت في طبعتها الأولى سنة 1798 عن السكان، أنها عبارة عن آراء موجهة لنقد آراء معاصريه أمثال كوندروكيت وجودوين، حيث تضمنت:

أن الطبيعة البشرية مصدر المشاكل الأساسية والاجتماعية بعكس كوندروكيت الذي يرجعها إلى مساوئ الأنظمة السائدة. ومن ثم يتوجب إصلاح الأفراد وطبائعهم المريضة كعلاج لإصلاح المجتمع.

إن النمو السكاني المتزايد هو مصدر الفقر الذي تعاني منه الشعوب بعكس جودوين الذي يرى أن سوء المؤسسات الاجتماعية والسياسية هي سبب هذا الفقر[47]

مرتكزات الفكر المالتوسي والرد عليه:

1/ تزايد السكان يتم من خلا متوالية هندسية وهو مستقل عن أي مؤثر خارجي:

---

[46]فتحي محمد أبو عيانة، **جغرافية السكان أسس وتطبيقات**، ط4، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1993)، ص.402.

[47] مصطفى السلقاني، **طرق التحليل الديموغرافي**، مرجع سابق، ص.272.

يرى مالتوس أن السكان يتضاعفون في الكوكب كل 25 سنة، بل ذهب بعضهم إلى القول بأنه إذا لم يحد من عدد السكان سيأتي يوم لا يجد فية الفرد مساحة يعيش فيها. ويرى مالتوس أن السكان متغير مستقل، لا علاقة له بالنظاام أو بالمحيط الاجتماعي الذي يوجد فيه، ألا أن رؤية مالتوس هذه التي لا ترى مؤثرا على تزايد السكان إلا الطبيعة هي أقرب للتطبيق على المملكة الحيوانية منها إلى أمة الانسان، لأن الحيوان تتحكم فيه الطبيعة والغريزة الحيوانية، أما الانسان فيخضع لتأثيرات كثيرة منها ذات طابع اجتماعي مثل درجة الاستفادة من الطبيعة ومدى تسخيرها ومدى تطور قوى الانتاج والعلاقات الانتاجية السائدة وغير ذلك من العادات والتقاليد والقيم...وعليه فإن تزايد السكان ليس مجرد ميل غريزي كما تصور مالتوس. كما أثبتت البحوث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية بعد مالتوس... أن السكان في أي مجتمع هم متغير تابع ولا يجوز معالجته بمعزل عن سائر المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية. كما ان هذه الظروف قد تختلف من بلد لآخر من جوانب كثيرة كنسبة الذكور إلى الإناث في كل بلد والنسبة المئوية لكبار السن ولصغار السن وللمتزوجين والعزاب وللرفيين والحضريين ولمن يستعمل موانع الحمل، الحروب وأثرها في نقص عدد السكان وغير ذلك من تقدم الطب الذي يقلل من نسبة الوفيات وقلة الزواج يقلل من نسبة المواليد[48].

2/ موارد الطبيعة تتزايد من خلال متتالية حسابية إلى حد أقى تبدأ بالنقصان(قانون الغلة المتناقصة):

من سوء حظ مالتوس أن نظريته كانت في بدء الثورة الصناعية في إنجلترا وبدء إستغلال السهول العظمى بأمريكا الشمالية في الزراعة فقد صحب زيادة الثروة نمو

[48] محمد أبو زيد أبو زيد، **نظرة قرآنية في نظرية مالتوس السكانية**، مرجع سابق، ص.52.

سريع للسكان، وهذا لم يحل دون ارتفاع عام في مستوى المعيشة استمر بلا انقطاع تقريبا حتى الوقت الحاضر، وذلك يناقض ما يمكن أن نتوقعه إذا سلمنا بنظرية مالتوس، فمنذ الثورة الصناعية تضاعف حجم الانتاج الصناعي في دول أروبا وأمريكا الشمالية بمقدار يتراوح ما بين ثلاثين وأربعين مرة خلال الفترة ما بين 1850 – 1950م...بينما عدد السكان خلال نفس الفترة قد تضاعف فقط. وهذا على نقيض نظرية مالتوس. ومن هنا يمكن أن نفهم ما قاله الدكتور عبد الحميد لطفي:" أما المتتالية الحسابية فلم يكن لها أساس استقرائي ولم يدعمها مالتوس بأي دليل...[49] ومن السهل أن نبرهن على أن وسائل المعيشة تتزايد بدورها حسب متتالية هندسية". أما على عبد الرازق جلبي فيقول:" لقد كشفت ايكولوجيا (الانسان والبيئة) البشرية أن الانسان كان يستعين في حفظ التوازن بين الزيادة في نمو السكان ووسائل العيش في كل مجتمع عبر مراحل تاريخ البشرية بتطور بيئته التكنولوجية والتنظيمية...[50] وهذا معناه أن إنتاج الغذاء لم يكن أقل عن الزيادة في نمو السكان على خلاف ما كان يتوقع مالتوس"، هذا فيما مضى من تاريخ، فكيف ونحن الآن في عصر التقدم التكنولوجي وأثره الكبير على الزراعة، واكتشاف مواررد البحار والجبال وغزو الفضاء الخارجي؟ لا شك أن هذا على عكس قانون مالتوس في الغلة المتناقصة.

---

[49] محمد أبو زيد أبو زيد، **المرجع السابق**، ص.53.

[50] على عبد الرازق جلبي، **علم اجتماع السكان**، مرجع سابق، ص.80.

المحاضرة الثالثة، الرابعة: النظريات السكانية بعد المالتوسية.

المحاضرة الثالثة: النظريات الطبيعية.

أ – نظرية مايكل توماس سادلر.

ب – نظرية دبلداي.

ج – نظرية هربرت سبنسر.

د– نظرية كواردو جيني.

المحاضرة الرابعة: النظريات الاجتماعية.

أـ نظرية إميل دوركايم.

ب – نظرية كارل ماركس.

ج– نظرية هنري جورج .

د– نظرية أرسين ديمون.

هـ – نظرية كار– سوندرز.

المحاضرة الثالثة، الرابعة والخامسة:النظريات السكانية بعد المالتوسية

النظرية السكانية:

يواجه كل من يهتم بتتبع نظرية علم اجتماع السكان بحقيقة لا شك فيها، وهي ان كتابات المشتغلون حديثا بهذا العلم لا تكون بناء متماسكا موحدا أو نظرية منسقة بقدر ما تمثل مجموعة متباينة ومتعددة من الأفكار والقضايا النظرية، إذ يفتقر ميدان علم الاجتماع ومن ثمة علم السكان إلى اطار مرجعي واحد يجمع بين مختلف القضايا الامبريقية والاستقرائية حول المتغيرات السكانية والاجتماعية والتي يمكن أن نطلق عليها نظرية ديموغرافية اجتماعية. وهذا لا يعني عدم توفر القضايا اللازمة لذلك، بقدرب ما يدل على أن هذه القضايا لم يتم تجميعها معا في غطار منظم واحد أو في صورة نسق نظري.

وعليه فمن المنطقي أن تنطوي دراسة نظرية علم السكان على محاولات متباينة ومختلفة لتصنيف هذا الكم الهائل من القضايا النظرية، ولما كان كل تصنيف يستند إلى معايير مختلفة في تصنيف القضايا النظرية في مجال السكان، فمن المتوقع أن لانجد إلماما واتفاقا بين مختلف التصنيفات. وعموما يمكن أن نستعين بالمخطط التالي قصد توضيح أهم التصنيفات النظرية في علم السكان:

التصنيف الأول:

وتقوم على تقسيم النظريات إلى نوعين، نظريات طبيعية وأخرى اجتماعية

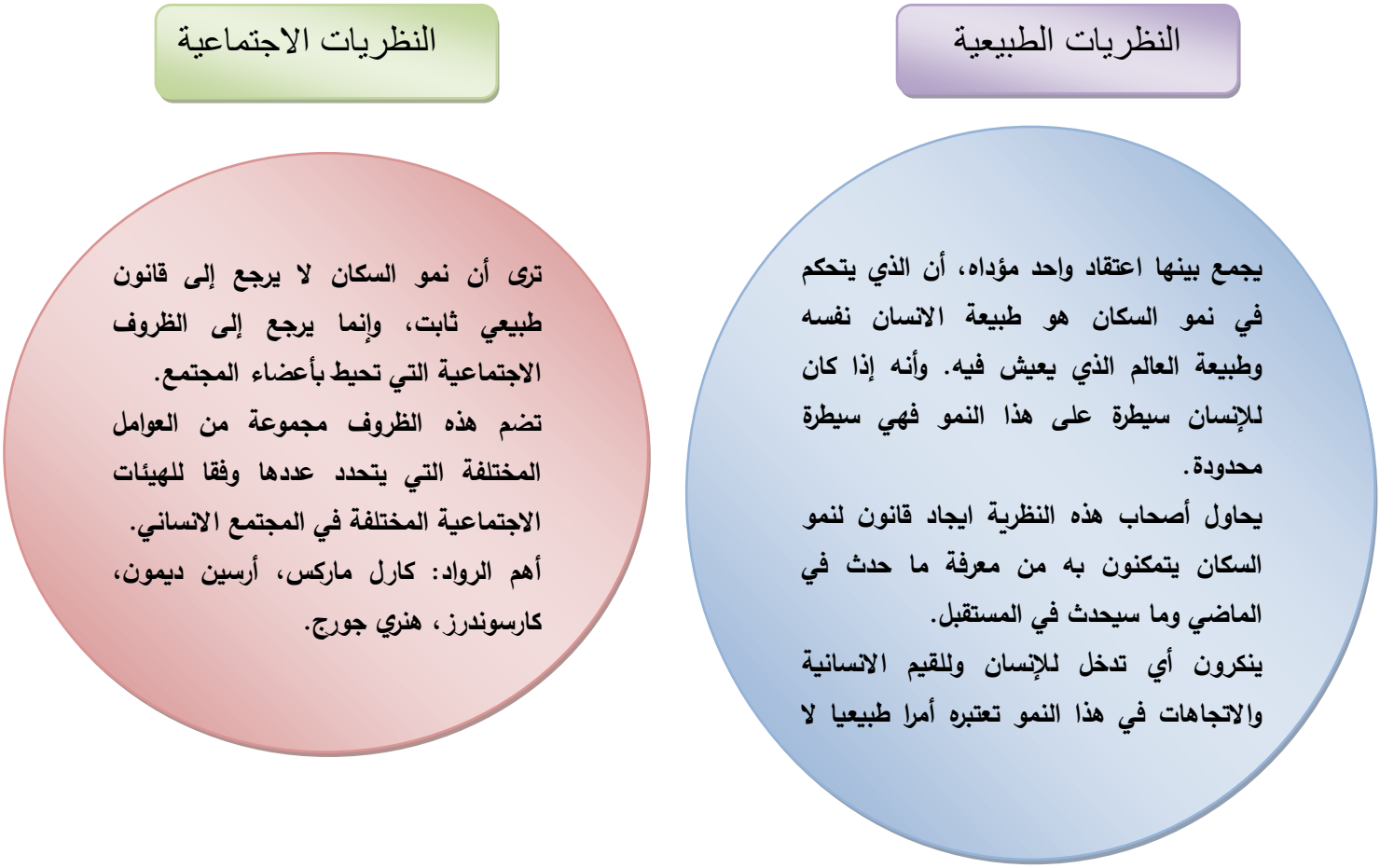

التصنيف الثاني:

وتتمثل في تلك النظريات التي تحاول تصنيف السكان على ضوء العوامل التي تؤثر في نمو السكان، إلى نظريات بيولوجية، نظريات ثقافية اجتماعية وأخرى اقتصادية.

عوامل بيولوجية

تجمع على أن انخفاض الخصوبة الذي حدث في الدول المتقدمة يرجع إلى انخفاض القدرة الفزيولوجية البيولوجية على الانجاب، وتختلف العوامل المؤدية إلى ذلك حسب كل مفكر.
أهم الرواد: سادلر، سبنسر، دبلداي، كواردو جيني.

عوامل اقتصادية

الزواج والانجاب يتحددان وفقا للظروف الاقتصادية السائدة.

أكدوا على الحجم الامثل للسكان، الحجم الذي يبلغ عنده الانتاج اعلى مستوى مع افتراض ثبات مستوى المعرفة وسائر الظروف السائدة.

أهم الرواد: آدم سميث، كيناي، كارسوندرز.

عوامل ثقافية اجتماعية

هي النظريات التي تعتمد على التفاعل الثقافي دون غيره، مثل تفسير السلوك الانجابي ومن ثم نمو السكان بالرجوع إلى النسق القيمي السائد في المجتمع، أو الرجوع إلى مفهوم الثقافة التقليدية.

التصنيف الثالث:

وهي تلك المحاولات التي تصنف النظريات السكانية بالاعتماد على المدخل النظري المحافظ والمدخل الراديكالي.

المدخل الراديكالي

المدخل المحافظ

يرى ان المجتمع يميل دائما إلى التوازن، وأنه في مراحل التغير يختل هذا التوازن ولكن هناك قوى اجتماعية بيولوجية تعمل على إعادة هذا التوازن.

أهم الرواد: سبنسر، سادلر، كارسوندرز،

يرى أنه كما تلعب العوامل المادية دورا في تحديد معدلات الخصوبة، فإن الاطار الثقافي السائد في المجتمع غالبا ما يكون انعكاسا لهذه الظروف، ويؤثر بدوره على معدلات الخصوبة.

ترى هذه النظرية أن رفض هذه العوامل والاطار المرتبط بها ومحاولة تغييره إلى صورة أخرى هو الطريق المؤدي

يمكن أن نستنتج أن هذه الصنيفات جاءت لتساعدنا على الفهم الجيد للنظريات السكانية.

مهما اعتمدنا على تصنيف دون آخر، هذا لا ينقص من قيمة التصنيفات الاخرى لأننا نجد الرواد ضمنيا مصنفين ضمن هذه التصنيفات الثلاثة.

تعرضت التصنيفات لأهم الرواد، بمعنى يوجد رواد آخرون ينتمون إلى هذه التصنيفات.

يمكننا من خلال هذه التصنيفات الثلاثة أن نوجد أو ننشئ تصنيفات أخرى.(مثل الاعتماد على الكرونولوجية الزمنية لميلاد الرواد).

توجد هناك نظريات اخرى لم تتطرق إليها هذه التصنيفات سنحاول أن نوردها بعد التعرض لأهم هذه النظرية.

المحاضرة الثالثة: النظريات الطبيعية

تعتقد النظريات الطبيعية أو البيولوجية أن السكان متغير مستقل ومن ثم توجد له قوانينه الخاصة التي تنظم تغيره وتتحكم في اتجاهات نموه. وهذا التيار يعتمد في رؤيته للمشكلة السكانية على نتائج التجارب العملية التي طبقت على بعض الحشرات والحيوانات والكائنات الحية الأخرى. ومن أبرز الكتاب الذين ساهموا في هذا الاتجاه سادلر ودبلداي وسبنسر وجيني.

أ - نظرية مايكل توماس سادلرMICHAEL THOMAS SADLER (1780-1835):

مصلح اجتماعي انجليزي، ورجل اقتصاد، نشر عام 1830 مؤلفا من مجلدين بعنوان " قانون السكان"، حيث يرى أن لدى المجتمعات آلية بيولوجية ذاتية تحذ من تزايد سكانها تزايدا مفرطا، فعندما تزداد الكثافة السكانية تتناقص عندها قدرتهم البيولوجية على الإنجاب. وبهذا السياق يرى أن الزيادة السكانية في أي مجتمع ما هي إلا عملية بيولوجية تتحكم تلقائيا بنفسها، أي إذا وصل قطر من الأقطار إلى درجة من الكثرة تدخلت العوامل البيولوجية لحمايتهم من التضخم الزائد عن طريق إنقاص قدرة الإنسان على التوالد والإنجاب[51]. ويقول سادر في كتابه "قانون السكان": "إن مبدأ تزايد الجنس البشري يمكن توضيحه باختصار وبساطة فإن قدرة الإنسان على التناسل

[51] منير عبد الله كرادشة، **علم السكان(الديموغرافيا الاجتماعية)**،مرجع سابق،ص.43.

عكسيا مع عدده". كما يرى أن الاختلافات في درجة القدرة على التناسل لا تأثر بالبؤس والرذيلة كما يرى مالتوس بل بالسعادة والغنى وعليه" يجب أن نميز بين شدة الجوع الوقتية والجوع المزمن، فالجوع الوقتي يقلل من النشاط الجنسي. أما الجوع المزمن فيؤدي إلى فقد الشهية، ويصرف الاهتمام من النعم بالطعام إلى الاستمتاع بالشهوة الجنسية"[52]، وإذن فالعمل على الحرمان من الترف يشجع على التناسل وذلك بتنمية القدرة عليه، وأنه في كل مرحلة من مراحل الرقي الإنساني من الصيد إلى الرعي إلى الزراعة إلى الحضارة الحديثة ينقص عدد السكان بالتدريج إلى أن يقف عند نقطة محددة يبلغ عندها أكبر عدد من السكان أقصى درجة ممكنة من السعادة...وتنطوي هذه النظرية على أساس طبيعي للتفاؤل في مستقبل الإنسان الاقتصادي[53].

وما يعاب على نظرية سادلر، أنها لم تستقرئ كل الحقائق الخاصة بالنمو السكاني في جميع بلاد العالم، ففي بلدان الصين، الهند ومصر والتي تعتبر من أكثر الشعوب قدرة على الانجاب ولكنها في نفس الوقت تعاني من الزيادة السكانية المرتفعة.

كما لم يميز سادلر بين القدرة على الانجاب وبين النمو الفعلي للسكان، فقد يكون عددا من السكان قويا في قدرته على الانجاب ومع ذلك تكون زيادته ونموه ضعيفا نظرا لارتفاع معدلات الوفيات.

كما لا يمكن لشعب من الشعوب أن يكون على درجة عالية من الانجاب دون أن يكون على درجة عالية من القدرة الفسيولوجية. ولكنه يمكن أن يكون على درجة عالية من هذه القدرة دون ارتفاع معدل الخصوبة(بسبب استخدام موانع الحمل أو الإجهاض

---

[52] حسين عبد الحميد رشوان، **السكان والمجتمع**(دراسات في علم الاجتماع السكاني)، ط3(الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، 2011)، ص.65.

[53] خليل عبد الهادي البدو، **علم الاجتماع السكاني**، مرجع سابق، ص.27.

...) ولكن عدم تفريق سادلر بين القدرة على الانجاب وبين الاخصاب اعتقد أن ثمة تعارض بين قدر الانسال الطبيعية على التكاثر أو التناسل، وبين قدرته على انتاج الغداء الكافي لجميع من يولدون فمال إلى القول" بأن قدرة الإنسان على التناسل تميل إلى التناقص كلما نقصت قدرته على انتاج القوت بسبب تضاعف عدد السكان"[54]

ب - نظرية توماس دبلداي THOMAS DOUBLEDAY(1790- 1870):

فيلسوف واقتصادي انجليزي، نشر عام 1837م كتابا بعنوان(القانون الحقيقي للسكان) وبنى فيه رأيه في مسألة السكان على التغذية فقال:" في أي وقت يتعرض فيه النوع البشري للخطر، بذلت الطبيعة جهودا متناسبة لحفظه وبقائه، وذلك بزيادة القدرة على الانجاب أو الخصوبة، وأن ذلك يحدث على الخصوص عندما ينجم هذا الخطر عن نقص في الغداء. وينجم عن ذلك أن حالة الفاقة تشجع خصوبة الطبيعة. وقياسا على ذلك يوجد أعظم تزايد للسكان بين الفقراء في المجتمع، أما الأثرياء الذين ينعمون بكفاية الغداء وبألوان الترف، فإن عددهم في نقصان مستمر. وبين طبقتي الفقراء والأغنياء طبقة وسطى يحصل أفرادها على كفايتهم من الغداء، ولكنهم في الوقت نفسه لا يعانون إرهاقا في العمل، ولا يصرفون وقتهم في الكسل، أي أنهم يعيشون عيشة وسطا، ولذلك كانت نسبة التوالد بينهم ثابتة[55]."

أكد على دور الغداء في تناقص القدرة البيولوجية على الإنجاب، وقال أنه عندما تهدد الكائنات الحية ظروف صعبة، فإن الطبيعة تعوض عن هذا الخطر بزيادة قدرتها البيولوجية على الإنجاب. فالنقص في الغداء قد يهدد المجتمع، وبالتالي يزيد من قدرته

---

[54]حسين عبد الحميد رشوان، **السكان والمجتمع**، مرجع سابق، ص.66.

[55]حسن الساعاتي، عبد الحميد لطفي، **دراسات في علم السكان**، (بيروت: دار النهضة العربية، 1981)، ص.58، 59.

الإنجابية خلال الفترة التي تشهد شحا في الطعام، بينما تنخفض هذه القدرة التي يكون فيها الغداء وفيرا.

أما عن أهم الانتقادات التي يمكن أن توجه إليه هي أن الاسراف في تناول الطعام يكون عادة مصحوبا بالتنعم بأنواع الملذات، مما يؤدي إلى ضعف القدرة على الانجاب، ومن ثم لا يمكن الجزم بأن الاسراف في الطعام هو العامل الفعال في انقاص القدرة على الانجاب عند الطبقات المتخمة بالغداء.

ج - نظرية هربرت سبنسرHERBERT SPENCER(1820 - 1903):

مفكر اجتماعي انجليزي، حيث عرف باهتمامه بالتطور البيولوجي الاجتماعي للقوى الطبيعية، فليس من الغريب أن يهتم بدراسة مسائل السكان على هذا الأساس. ولقد عرض سبنسر قضاياه السكانية ضمن كتابه(مبادئ البيولوجيا) الذي نشره عام 1901، ولقد كان يهدف من هذه المعالجة معارضة آراء دوبلداي، حيث إعتقد:

1- أن الغداء الجيد يزيد من القدرة على التناسل، لأن الأحياء عند كثير من المخلوقات تبدأ في وقت من العام يكون فيه الدفء كبيرا والمؤونة الغذائية متوفرة والتي تسهل بدورها حياة الفرد مما يؤدي إلى تزايد السكان.

2- اعتقد أن هناك تعارض بين التناسل والنضوج الذاتي، لأن المخلوقات كلما ارتفعت وتطورت من الأشكال الدنيا للحياة، نقصت خصوبتها فإذا كانت الأجسام العضوية لدينا ذات قدرة ضعيفة جدا مما يجعلها لا تستطيع المحافظة على نفسها فلأنها تتكاثر بدرجة كبيرة حتى تفنى،، وإذا كانت الأشكال العليا للأجسام العضوية تنفق جزءا كبيرا من قوتها ونشاطها الحيوي في إنضاج ذاتها وبناء شخصيتها فإنه لا يبقى لها إلا القليل لبذله في مجال التوالد والإنجاب.

3 – يدعم سبنسر اعتقاده السابق بناء على ما لاحظه من قلة النسل بين السيدات المشتغلات في المهن الفكرية واللاتي كن ينتسبن إلى طبقات عليا. وبرغم أن تغذيتهن أفضل من سيدات الطبقة الفقيرة وأنهن ينلن رعاية صحية أفضل إلا أن تناسلهن يكون ضعيفا بسبب الإجهاد الذهني وعجزهن عن إرضاع أطفالهن ورعايتهم ومدهم بالغذاء الطبيعي.

4- قرر سبنسر أنه كلما ازداد ما بذله الفرد من جهود لتأكيد ذاته ووجوده ونجاحه، ضعفت جهوده في انسال الخلف.

5- في ضوء هذه القضايا تنبأ سبنسر بأن مشكلة تزايد السكان ستختفي مع ما يصاحبها من شرور أخرى ما دام الإنسان ينشد الرقي ويبذل جهودا كبيرة في سبيل ذلك.[56]

ما يؤخذ على سبنسر أنه أغفل عددا من الشواهد تخالف فرضه، فالخصوبة المتناقصة لا ترجع إلى تغيرات فسيولوجية فحسب في بناء الانسان بقدر ما ترجع إلى الرغبة والاختيار في تحديد حجم الأسرة باستعمال ما وفره العلم الحديث من وسائل حديثة لضبط النسل. كما هناك عوامل اجتماعية عديدة غير التعليم تؤثر في القدرة على الانجاب، فالمرأة التي نالت قسطا من التعليم لا بد وأن تكون قد تجاوزت أهم فترات الخصوبة والتي تتميز بها الفئة العمرية(20- 30) سنة.

د- نظرية كواردو جينيCORADO GINI (1884):

تنبني نظرية جيني على أساس طبيعة العلاقة بين المتغير السكاني والنظم الاقتصادية والسياسية و الثقافية . حيث أن التركيب السكاني بإمكانه تغيير التركيب الجنسي أو البيولوجي للمجتمع.

---

[56] علي عبد الرازق جلبي، **علم اجتماع السكان**، مرجع سابق، ص.115،116.

فالرجل يعتقد أن المجتمعات تتم في مراحل تكوينها بخصوبة مرتفعة تؤدي إلى ازدياد كثافتها , هذه الأخيرة تصاحبها اختلافات في الأوضاع الاجتماعية مما ينتج عنه اختلاف كذلك في معدلات الخصوبة بين الطبقات. وعند الاكتظاظ السكاني للمجتمع يضطر جزء منه إلى الهجرة بطريقة سلمية أو مصاحبة بالحرب، التي تؤثر في عناصر واسعة من أفراد المجتمع.

ينتقل المجتمع فيما بعد إلى مرحلة ينقص فيها عدد السكان والخصوبة، فتصعد الطبقات الدنيا إلى الطبقات العليا لملء الفراغ الذي خلفته هذه الأخيرة جراء نقص خصوبتها. لتعم الرفاهية كل الطبقات

وينتعش الاقتصاد وتزدهر الفنون والآداب والموسيقى.

كما يشير جيني إلى مرحلة أخرى يمر منها ذات المجتمع وهي مرحلة الاضمحلال التي تبدأ مع التقهقر الذي تعرفه الخصوبة من جهة والهجرة من الريف إلى المدن من جهة ثانية, فيختل الاستهلاك مما يؤثر على الصناعة والتجارة, ويتسبب في الأزمات الاجتماعية التي تؤدي إلى فناء المجتمع إما سلميا أو عن طريق الحرب.

وعلى الرغم من أن أفكار جيني تمثل إضافة حقيقية إلى الدراسات السكانية بعد مالثوس إلا انه هنالك بعض الملاحظات النقدية حيث" أنه لم يخلص من هذه القضايا التي استشهد في البرهنة عليها ببعض الشواهد من تاريخ المجتمع الإنساني ولم يخرج بقانون واحد يفسر نمو السكان ومن أهم الملاحظات هي:

ا /يفترض جيني أن هناك قوة طبيعية تعمل على تحديد عدد السكان سلبا وإيجابا والتي تتمثل في العوامل البيولوجية وضعف القدرة على الإنجاب فالعلم الحديث أوضح خطأ التفسير بهذه العوامل.

ب /لا يمكن أن تطبق هذه النظرية على كل المجتمعات وفي كل الأوقات حيث استمد جيني

الوقائع والشواهد التي بنى عليها نظريته من بعض الشعوب مثل اليونان والرومان ولكن هنالك شعوب مثل الصين والهند أخذت تطورها بطريقة غير التي تصورها جيني.

ج /ثمة عوامل أخرى غير الهجرة والحروب تؤدي إلى خفض نمو السكان مثل المجاعات والوفيات(لأسباب غير الحرب) والإجهاض ووسائل منع الحمل و كلها اغفل عنها جيني[57]".

[57] إجلال عوض الله فضل المولى محمد، **اتجاهات الخصوبة البشرية بولاية شمال دارفور ــ دراسة حالة محلية الفاشر في الفترة ما بين 1993– 2005**، (رسالة دكتوراه)، (الخرطوم: قسم الجغرافيا، 2007)، ص.49.

المحاضرة الرابعة: النظريات الاجتماعية:

تتجه النظرية الاجتماعية إلى رفض تأثير العامل البيولوجي بل تعتقد بوجود عوامل اجتماعية يتأثر بها السكان فتجعل الإنسان يحدد إنجابه ويتجه إلى الأسرة النووية وذلك بإتباع وسائل تحديد النسل دون أن تتغير طاقته البيولوجية على الإنجاب. ومن أبرز روادها هنري جورج وديمون، اميل دوركايم، كارسوندرز وكارل ماركس.

أـ نظرية إميل دوركايم:Emile Durkheim (1858- 1917)

ولد في فرنسا بمدينة إبينال من أسرة يهودية الأصل. أكد إميل دوركايم على الدور الايجابي لحجم السكان ونموه في تحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي من خلال ما ينتجه السكان من إمكانية التوسع في تقسيم العمل الاجتماعي. ولقد لخص نظريته في العبارة التالية" تعد الزيادة السكانية عاملا مهما لتقسيم العمل الاجتماعي، وهذا يمثل نقطة الانطلاق لسلسة من الاصلاحات المختلفة"[58] وأشار دوركايم إلى أن زيادة السكان في المدن وفق آلية تختلف عن زيادة السكان في القرى والأرياف، ففي هذه المناطق يزداد السكان بفعل النمو الطبيعي، بينما تتحقق زيادة السكان في المدن بفعل عامل آخر هو الهجرة، ففي المدن يعيش السكان بصورة متراصة بعضهم إلى جانب بعض لا يحتاجون إلى مساحات كبيرة كما في الأرياف، لا سيما في إنتاج قوتهم وليس من الضروري أن يكون سكان المدن كثيرون أو معدل نموهم عاليا دائما، بل إن طبيعة الحياة في المدن وما تفرضه يكفي لأن يدخل الأفراد في علاقات وروابط حميمية وقوية لتسهيل عملية تبادل الأعمال والأفعال بينهم. وأكد أن عملية تقسيم العمل الاجتماعي تكون أكثر لسهولة وأوسع نطاقا كلما ازداد عدد أفراد المجتمع، إذ تزداد حالات

---

[58]فراس عباس فاضل البياتي، **الاتجاهات النظرية الحديثة في علم اجتماع السكان**، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2011)،ص.69.

الاحتكاك والتماس والتفاعل في ما بينهم، الأمر الذي يساعد على رفع قدراتهم في تبادل الأفعال والأعمال.

واستند دوركايم إلى أهمية أثر الكثافة السكانية وزيادة حجم السكان لإثبات نظريته، وأشار إلى أن سكان المجتمع يتجهون دوما نحو التكيف بعضهم مع البعض الآخر من خلال مرورهم بمراحل اجتماعية واقتصادية حددها بمراحل الصيد، ثم الرعي، فالزراعة ثم الصناعة، وهكذا تزداد الكثافة تبعا للإنتقال عبر المراحل ويزداد الاكتظاظ والتركيز والاحتكاك ويتولد من خلال ذلك تيار من تبادل الأفعال وردود الأفعال[59].

ب – نظرية كارل ماركسCARL MARX (1818– 1883)

ولد في ألمانيا، ينتمي إلى عائلة يهودية وعندما توفي" مالتس "سنة 1834 في إنجلترا كان" كارل ماركس "صبيا يافعا، وكانت نظرية" مالتس "مهيمنة في إنجلترا حيث هاجر" ماركس "ولم يسلم" ماركس" بالفكرة القائلة بوجود قانون واحد عام لسكان يصلح للتطبيق في كل زمان ومكان بغض النظر عن طبيعة التنظيم الاجتماعي ولم يكن لماركس مؤلفا خاصا لموضوع السكان وإنما نبعت نظريته في السكان من نظريتة العامة التي تري في النظام الاشتراكي العلاج الوحيد لجميع المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يعانيها الأفراد وأنه من الممكن معالجة الآثار السلبية المفترضة للكثافة السكانية من خلال إعادة تنظيم المجتمع وخاصة من خلال سيطرة الطبقة العاملة على وسائل الانتاج ويركز فكر ماركس على تحليل العلاقة بين ظروف الحياة المادية وأنماط الفكر وهي العلاقة التي تقوم على مبدأ متطور ومتغير أثناء تطور المجتمع عبر التاريخ[60].

---

[59] المرجع السابق، ص.70.

[60] مصطفى خلف عبد الجواد، **دراسات في علم اجتماع السكان**، مرجع سابق، ص.15.

ويقرر كارل ماركس في نظريته أنه لا وجود لقانون عام ثابت للسكان. فلكل مجتمع قانونه السكاني الخاص به. ويعتقد أن النظام الاقتصادي السائد في المجتمع هو الذي يتحكم في عدد السكان وليست الخواص الثابتة في الطبيعة كما يعتقد أصحاب النظرية الطبيعية . فإذا ما تحول النظام الاقتصادي الذي يتتبع الطريقة الرأسمالية في الإنتاج إلى نظام اشتراكي سوف لن تكون ثمة مشكلة السكان المتمثلة في التزايد والفقر والبؤس. ودليله في ذلك أن ميل الإنسان إلى الضغط على وسائل العيش راجع إلى مساوئ الرأسمالية التي يمكن أن تزول بعد زوال الطبقات وبناء المجتمع الشيوعي.

إلا أن نظريته هذه تجاهلت العوامل الأخرى غير الاقتصادية التي تؤثر في النمو الحقيقي للسكان, مثل الزواج والخلف وهي عوامل لا يمكن إغفالها مما يتعارض مع طبيعة البشر من جهة , وما تقتضيه الحياة الاجتماعية السليمة من جهة أخرى.

ولم يأت ماركس وحتى صديقه انجلز بنظرية سكانية بالمعنى الصحيح ولكنهما أوضحا"ضمن الإطار العام للمادية التاريخية" بعض المبادئ الأساسية التي في رأيهما تتحكم في حركة السكان والظواهر الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بها .

فقد اعتبر ماركس مبدأ مالتوس السكاني مبدءا "تجريديا" وقال باستحالة وجود قانون كوني و"طبيعي" للسكان بل على العكس من ذلك ترتبط حركة السكان بالظروف الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بكل مجتمع. أكد على أن كل واحد من أنماط الإنتاج المتعاقبة في التاريخ والمرتبطة بمجموعة من العوامل الاجتماعية يتناسب مع قانون خصوصي للسكان يمكن التحقق منه في مرحلة تاريخية معينة. كتب ماركس: " لا يمكن أن يوجد هناك قانونا طبيعيا للسكان لا يتغير إلا عند النبات والحيوان. ويوجد فقط في غياب أي تدخل من طرف الإنسان". يشير ماركس في كتابه الرأسمال إلى

الخطوط العريضة لقانون السكان "الخاص بنظام الإنتاج الرأسمالي" والذي يبرز من جهة التكاثر النسبي للسكان باعتباره أساس الظاهرة الاجتماعية – الاقتصادية، ومن جهة أخرى فإن علاقة حجم الأسرة بمستوى الأجور علاقة عكسية وهو ما يترجم الترابط الموجود بين الظواهر السكانية والظواهر الاجتماعية.

في نظره يكمن خطر التكاثر السكاني الذي تكلم عنه مالتوس في نمط الإنتاج الرأسمالي وفي كون الطبقة المالكة هي التي تستحوذ على قيمة الشغل المضافة وليس في المنحنيات البيولوجية المزعومة للنوع البشري. ينجم التكاثر السكاني"باعتباره ظاهرة نسبية" عن التكديس الملحوظ في الرأسمال عندما يتباطأ نمو "الرأسمال المتغير" الذي يحدد الطلب على اليد العاملة عن نمو "الرأسمال القار" الذي يصلح لتمويل الاستثمارات. عندما يصل النظام الرأسمالي إلى مرحلة معينة من تطوره لا يسمح بعد ذلك النمو الطبيعي للسكان بمجابهة الطلب المباشر على اليد العاملة لكن يسمح الرأسمال المكدس بالخروج من هذه الوضعية وينتهي بالحصول على الفائض السكاني الضروري لاستمرار النظام في أداء وظيفته.

إن التكاثر السكاني النسبي هو إذن ظاهرة من صميم النظام الرأسمالي تنجم عن تكديس الرأسمال وهي أحد الشروط لمحافظة هذا النظام على بقائه. إذا كان "جيش الاحتياط الصناعي" متواجد بكثرة يمكن آنذاك للرأسماليين إسكات مطالب العمال وإبقاء الأجور على مستواها الأدنى وبالتالي ضمان هامش مهم من القيمة المضافة ومن الربح، هذا "الجيش الاحتياطي هو الذي يحدد قواعد اللعبة في عرض اليد العاملة والطلب عليها.

التكاثر النسبي للسكان الذي يعني البطالة عند ماركس يمكن أن يتخذ ثلاثة أشكال: غير مستقر غير ظاهر وراكد. تكون الحالة الأولى ممكنة أساسا عندما يفقد

العمال عملهم على إثر مكننة الإنتاج أو على إثر التغيرات المحدثة في التنظيم الصناعي؛ الحالة الثانية ممكنة نظرا للتواجد الدائم في الأرياف لبعض الأفراد المستعدين للهجرة إلى المدن لاسيما بعد بروز قطاع رأسمالي في الفلاحة؛ أما الحالة الثالثة فهي ممكنة لأن بعض العمال يزاولون أشغالا غير قارة لا تضمن لهم سوى مستوى معيشي جد منحط. تساهم مختلف العوامل الاقتصادية والسكانية في ظهور التكاثر السكاني النسبي بمختلف أشكاله والمحافظة عليه من بين هذه العوامل يذكر ماركس التقدم التقني الذي يؤدي في النظام الرأسمالي إلى "انحراف جذري" إذ بقدر ما ترتفع إنتاجية العمل بقدر ما يرتفع عرض اليد العاملة وبقدر ما تصبح ظروف عيش العمال هشة"

حسب ماركس يعزى اختلاف معدلات الوفيات من طبقة إلى أخرى وبداخل الطبقة العمالية نفسها إلى الوضعية الاجتماعية وإلى مستوى المعيشة (وهو ما يسميه حاصل وسائل المعاش) وإلى ظروف الشغل وغيرها من العوامل الاجتماعية الأخرى. بعدما ذكر قول آدم سميث بأن الفقر يولد 'الجيل "أشار ماركس إلى أن معدلات الولادة والوفيات وكذا الحجم المتوسط للأسرة لها نسب معاكسة لمستوى الأجور أو بتعبير آخر لها نسب معاكسة لأهمية وسائل المعاش عند مختلف شرائح العمال. يتأسف ماركس لهذا القانون الخاص بالنظام الرأسمالي والذي حسب رأيه لا يوجد عند البدائيين ولا عند بعض المتنورين من سكان البلدان الجديدة .

ج- نظرية هنري جورج Henry George(1839 – 1897):

هو اقتصادي ومصلح اجتماعي أمريكي على نقيض نظرية مالتوس تماما، ويتفاءل بشدة بشأن العلاقة بين السكان والغداء في المستقبل وأنكر تماما صحة المبدأ القائل

بوجود تعارض أساسي بين تزايد أعداد البشر والقدرة على توفير العيش لهم، بل رغم أنه على خلاف أ كائن حي آخر فإن زيادة عدد السكان تتضمن الزيادة في غدائهم.

لكنه استدرك قائلا بأن "هذه الحالة لا تتحقق إلا إذا تساوى الناس جميعا في حصولهم على الموارد الأرضية وبالتالي إذا لم يكن هناك احتكار لقلة من الناس على الكثرة من الموارد"[61]، ويعتقد جورج أن القدرة على الانجاب والخصوبة البشرية تتناقص كلما تزايد انتشار التطور الفكري الفردي.

د- نظرية أرسين ديمونARSENE DUMONT(1840- 1902)

يرى ديمون أن الإنسان عندما يحاول الترقي في بيئته الاجتماعية من طبقة دنيا إلى طبقة عليا، يفقده هذا التقدم الاجتماعي القدرة على الانسلال . فكلما كان المجتمع أكثر ديمقراطية ويسمح بترقي الأفراد في السلم الطبقي الاجتماعي, يجنح أفراده إلى عدم الاهتمام بالخلف وتكوين الأسر, لأن ذلك يؤخر أو يعيق طموحهم الشخصي وبالتالي يلاحظ نقص ملحوظ في نسبة المواليد.

بينما ترتفع هذه الأخيرة في المجتمعات ذات النظام الطبقي الجامد الذي لا يسمح بترقي الأفراد و اندماجهم في طبقات عليا، و بالتالي فهم يتفرغون لتكوين أسرهم ويعملون على تماسكها.

ولقد ظهرت هذه النظرية عام 1890م، ويمكن تشبيه الارتقاء في السلم الاجتماعي الماء المندفع في الأنابيب الشعرية، وعليه تسمى هذه النظرية بنظرية الوضع الاجتماعي أو نظرية الخاصية الشعرية، فكلما ضاقت فوهة الأنبوب الشعري كلما زاد ارتقاء الفرد في السلم الاجتماعي. مثل الماء تماما الذي يزداد ارتفاعه كلما ضاقت أنصاف أقطاره.

---

[61] مصطفى عمر حمادة، **دراسات في علم السكان**، مرجع سابق، ص.137.

والملاحظ أن هذه النظرية لا تختلف كثيرا عن نظرية سبنسر التي طورها ديمون وأضفى عليها تعديلات. إلا أنها لا تخلو من القيمة من وجهة النظر الاجتماعية رغم كونها لا تفسر بشكل كامل هبوط نسبة المواليد[62].

هـ - نظرية كار- سوندرز ALEXANDER M. CARR-SAUNDERS(1886)

هو أحد المفكرين الإنجليز، عمل فترة من الزمن بالاقتصاد وتعتبر نظريته محاولة للربط بين زيادة السكان وموارد الثروة حيث يعتقد أن الإنسان يحاول دائما أن يصل بحجمه إلى العدد الأنسب داخل مجتمعه, مستثمرا و مستغلا بيئته بكل ثرواتها الطبيعية والبشرية دون أن تؤثر زيادة عدده في المستوى اللائق للمعيشة، ويربط زيادة عدد السكان بزيادة تفاعل الإنسان مع بيئته والعكس صحيح. وهو برأيه هذا يخالف مالتوس الذي يقول بأن زيادة عدد السكان لا تتناسب مع موارده.

والعدد الأمثل معناه العدد الذي يسمح للفرد بتحقيق أعلى ربح وذلك مع أخدنا في الاعتبار: العادات، التقاليد، طبيعة البيئة، مهارة الأفراد، ومن المهم أن نذكر أن العدد الأمثل غير ثابت وإنما هو يتغير بتغير الظروف، إلا أنه كلما كانت المهارة عند أفراد المجتمع كلما زاد احتمال أن يصبح هذا المجتمع كثير السكان وهناك مجتمعات غنية بالموارد ولكن عدد سكانها قليل ومن أمثلتها: أستراليا، العراق، السودان"[63]

كما يوضح كار- سوندرز أنه يمكن استحلاص مقياس يمكن بواسطته التعرف على مستوى القلة أو الكثرة المثلى الذي قد يصل إليه السكان، ويتمثل في أنه إذا كان متوسط دخل الفرد آخد في الزيادة دل هذا على أن عدد السكان في هذا المجتمع عند

---

[62] منير عبد الله كرادشة، **علم السكان(الديموغرافيا الاجتماعية)**، مرجع سابق، ص.55.

[63] طارق السيد، **علم اجتماع السكان**، (الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2008)، ص.89.

حد القلة أما إذا كان متوسط الدخل في حالة استقرار كان عدد السكان عند الحد الأمثل وإذا كان المتوسط متجها نحو الهبوط تدريجيا فإن عدد السكان يكون عند حد التزايد"[64]

وما يؤخذ على هذه النظرية هو أنه ليس من السهل تحديد الطاقة أو العدد الأنسب الذي يتحدث عنه كارسوندرز في المجتمع, لأن هذا الأخير تتعدد أشكاله من بسيط ومركب . كما أنه ليس من اليسير توقع الاتجاه الحالي والمستقبلي لتكوين المجتمع الاقتصادي فكيف يمكن تقييم موارد المجتمع لمعرفة عدده الأنسب؟. كما أن تحديد الحجم الأمثل من خلال عامل واحد هو أمر بعيد عن الموضوعية، إذ أن هناك العديد من العوامل الأخرى مثل التقدم التكنولوجي، التقدم في مجال الصحة، التقدم في مجال الأعمال الفنية، والتقدم في مجال الأعمال الثقافية.

---

[64] المرجع السابق، ص.90.

المحاضرة الخامسة، السادسة والسابعة: النظريات المحدثة في علم السكان.

1- نظرية انخفاض الوفيات.

أ-نظرية توماس ماكيون.

ب- نظرية التحول الوبائي لعبد الرحيم عمران.

2- نظرية الوضع الاجتماعي (الخاصية الشعرية).

3- نظرية الكلفة في الخصوبة.

4- نظرية التحول الديموغرافي الانتقالية الديموغرافية.

5- نظرية تركيب العائلة.

6 نظرية اتجاه تدفق الثروة (كالدويل).

7-نظرية كاين.

8-نظرية ديفيز وبلاك.

9-نظرية جون بونقارتز.

المحاضرة الخامسة، السادسة والسابعة: النظريات المحدثة في علم السكان

يمكن أن نعرف النظرية السكانية بأنها مجموعة من القضايا التي تقوم على أساس الملاحظة و التجريب، وتقدم تفسيرا للظواهر السكانية من منظور اجتماعي بحت، أو من خلال العلاقات ذات المنظور السكاني والتي يمكن ملاحظتها والتحقق منهل. هذا وقد ظهرت نظريات عديدة ومتنوعة تناولت المسألة السكانية من جانب عدة ومختلفة، وبحيث قامت بتقديم إسهامات كبيرة لفهم هذه الظاهرة، وفيما يلي عرض لأهم النظريات خاصة تلك ذات المدخل الاجتماعي:

1- نظرية انخفاض الوفيات:

ومن أشهر رواد هذه النظرية مي، سميث، وهيير، حيث عالجت هذه النظرية ظاهرة الخصوبة بالاعتماد غلى مفهوم انخفاض مستويات الوفيات، والتي ترتب عليها زيادة الرغبة لدى الأزواج في إبقاء على طفل واحد على الأقل حتى سن شيخوختهم واعتباره صمام أمان في حالة المرض أو الشيخوخة، إضافة لاعتبارات اجتماعية اقتصادية ثقافية مختلفة.

يرى رواد هذه النظرية، أن انخفاض الوفيات المؤدي إلى تناقص الخصوبة يقوم على فرضيتين رئيسيتين:

الأولى:

تقوم على فرضية مفادها بأنه كلما انخفضت نسبة الوفيات، أدى ذلك إلى انخفاض نسبة الخصوبة، أما في حالة زيادة نسبة الوفيات فإن الخصوبة تزداد وذلك بسبب ما يسمى بالولادات التعويضية التي تتضمن دوافع ومحركات هامة لاستمرار عملية إنجاب الأطفال لضمان حياة الآباء في سن الشيخوخة.

الثانية:

وتقوم على أن انخفاض مستويات الوفيات سيزيد من عدد الأفراد الذين سيعيشون مدة أطول، وبالتالي سيعمل على زيادة معدل الإعالة في المجتمع[65].

وبهذا السياق فقد أكد أصحاب هذه النظرية على إن تنبه السكان إلى النتائج الإيجابية بانخفاض الوفيات سوف يدفعهم إلى زيادة الاتجاه نحو استخدام وسائل ضبط الحمل، كما تنبهوا إلى أهمية توفر المناخ الاجتماعي الملائم للسيطرة على الخصوبة السكانية عن طريق التحكم بعملية الإنجاب، كضرورة لإحداث تغييرات في خفض مستويات خصوبتهم السكانية ويمكن أن نحدد أكثر مقومات هذه النظرية من خلال أعمال كل من توماس ماكيون و عبد الرحيم عمران.

أ-نظرية توماس ماكيون:

جاءت نظريته لقياس العوامل التي أثرت في النمو السكاني في إنجلترا وويلز خلال الفترتين 1837- 1900 و1901- 1971، وقد اختار ماكيون سنة 1837 كبداية لدراسته نظرا لبدء تسجيل معدلات المواليد والوفيات لسكان انجلترا وويلز خلال هذه الفترة، غير أن تحليله الفعلي لبيانات القرن التاسع عشر اقتصر على النصف الأخير من هذا القرن نظرا لعدم ثقته في صلاحية البيانات الخاصة بأسباب الوفاة المتاحة لهذا النوع من الدراسات التحليلية حتى عام 1851م، ويرجع تقسيم ماكيون فترة الدراسة إلى فترتين منفصلتين(القرن التاسع عشر والقرن العشرون) نتيجة لاختلاف مسببا انخفاض الوفيات خلال الفترتين فبينما تميز القرن التاسع عشر بانخفاض الوفيات، والذي يرجع بصورة أساسية إلى تحسين الظروف البيئية المحيطة بالإنسان، تعددت مسببات

---

[65] منير عبد الله كرادشة، **علم السكان(الديموغرافيا الاجتماعية)**، مرجع سابق، ص.54.

انخفاض الوفاة خلال القرن العشرون وشملت تحسين الظروف البيئية المحيطة باللإنسان بالإظافة إلى مد خدمات الصحة العامة وانتشار الأساليب العلاجية المتطورة"[66]

الفترة الأولى: 1851- 1900:

في بحثه عن أهم أسباب انخفاض معدلات الوفيات خلال تلك الفترة، درس ماكيون نمط انخفاض معدلات الوفاة الناتجة عن خمسة مجموعات من الأمراض وهي أمراض الصدر وخاصة السل، أمراض التيفويد والحمى، مرض الحمى القرمزية، أمراض الكوليرا والدوسنتاريا والاسهال، الحمى الصفراء. وقد أشار ماكيون إلى أن تغير طبيعة العلاقة بين الميكروب والإنسان قد ساهمت بشكل فاعل في خفض مستويات الوفاة خلال تلك الفترة وأرجع ماكيون هذا التغير إلى سببين أساسيين:

تغيرات في طبيعة الميكروبات المسببة للأمراض المعدية والتي قدر ماكيون أنها كانت مسئولة عن 20٪ إلى 23٪ من الانخفاض في معدلات الوفاة خلال تلك الفترة.

تغيرات بيئية تسبب فيها الإنسان. وقسمها إلى نوعين من التغيرات:

ارتفاع مستويات المعيشة والتي كانت نتاج العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي سادت تلك الفترة والتي لم تلعب الدوافع الصحية دورا فيها. وأكد ماكيون أن ارتفاع مستويات المعيشة قد ساهم في خفض الوفيات نتيجة لعوامل عديدة يصعب معها تحديد عامل معين ولكنه أشار إلى الدور الرئيسى لتحسين النظام الغذائي وأثره في تقوية مناعة الأفراد في مواجهة الأمراض.

---

[66] مجلس السكان الدولي، **مقدمة في علم السكان وتطبيقاته**، زينب خضر، الفصل الأول(**النظريات السكانية**)، (مصر، 2010)، ص.13.

اصلاح شبكات المجاري العامة والتي كان الهدف الأساسي من وراءها الحد من انتشار الأمراض نتيجة للمعرفة العلمية التي توافرت في تلك الفترة وقد جاء هذا الإصلاح مسئولا عن حوالي 25٪ من الانخفاض الحادث في معدلات الوفيات.

وقد أكد ماكيون أن مساهمة الأساليب الطبية والصحية في انخفاض معدلات الوفيات في تلك الفترة اقتصر على مساهمة التطعيم ضد الجدري في خفض معدلات الوفيات والذي لم يتعدى أكثر من 6٪ من إجمالي الانخفاض في هذه المعدلات[67].

الفترة الثانية: 1901- 1971:

أشار ماكيون إلى استمرار انخفاض معدلات الوفيات خلال هذه الفترة. وقد قدر ماكيون أن 75٪ من الانخفاض في تلك يرجع إلى إنخفاض الإصابة بالأمراض المعدية بينما ال25٪ الباقية فترجع إلى انخفاض العوامل المسببة لأمراض أخرى غير الأمراض المعدية مثل أمراض الطفولة والشيخوخة والعنف. وقد لعبت العوامل الطبية والصحية وانخفاض معدلات التعرض للأمراض وتحسين نظم التغذية دورا رئيسيا في انخفاض الإصابة بالأمراض المعدية بينما لعبت العوامل الطبية وخاصة الجراحة والرعاية الطبية الدور الأهم في خفض معدلات الوفيات من الأسباب الأخرى عن طريق زيادة احتمال البقاء على قيد الحياة وخفض احتمالات العجز والإصابة. وفي معرض تحليله لأسباب انخفاض معدلات الوفيات من الأمراض المعدية، قسم ماكيون هذه الأمراض بحسب وسيلة انتقال المرض.

"فبالنسبة للأمراض المنقولة عن طريق الهواء، فقد أرجع ماكيون انخفاض الوفيات الناتجة عن هذه الأمراض والتي تمثل حوالي 45٪ من إجمالي الانخفاض في معدلات الوفيات خلال تلك الفترة إلى حدوث تغيرات في طبيعة الميكروبات المسببة لهذه

---

[67] المرجع السابق، ص.13.

الأمراض وتزايد مناعة الأفراد نتيجة لتحسين نظم التغدية مما ساعد على خلق نوع من التوازن بين هذه الميكروبات ومناعة حامل المرض. وأكد ماكيون أن فاعلية الأساليب الطبية لم تظهر إلا بعد الحرب العالمية الثانية مع ظهور السلفا والمضادات الحيوية والوسائل العلاجية والدوائية"[68].

أما بالنسبة للأمراض المنقولة عن طريق الماء فقد أوضح ماكيون أن حوالي 16.4٪ من الانخفاض في معدلات الوفيات عموما يرجع إلى انخفاض في معدلات الوفيات من هذه الأمراض، وأن حوالي 10.4٪ كان نتيجة لانخفاض الوفيات من الاسهال والدوسنتاريا. وأشار ماكيون إلى أن 85٪من الانخفاض في وفيات الاسهال والدوسنتاريا قد تحقق قبل ظهور أساليب علاجهما الحديثة عام 1930. وأكد ماكيون أن هذا الانخفاض يرجع بصورة أساسية إلى انخفاض معدلات تعرض الأفراض لمسببات هذه الأمراض بخاصة انتشار إجراءات الصحة العامة سواء التي كانت تهدف إلى تحسين الحالة الصحية العامة مثل تطهير مياه الشرب، وتحسين وسائل التخلص من الفضلات والمجاري العامة، وبسترة وتعقيم الألبان أو تلك التي ارتبطت بارتفاع مستويات المعيشة في المجتمع عموما مثل تعليم الأمهات أساليب تغذية الأطفال الصحية والحفاظ على نظافة المواد الغذائية. كما أكد ماكيون على الدور الهام الذي لعبته التغذية السليمة وخاصة بين الأطفال في زيادة المناعة ضد هذه الأمراض.

ومنه نخلص إلى نتيجة أساسية هي أن نظرية ماكيون قد أثبتت خطأ اعتقاد أن التقدم الطبي هو العامل الرئيسي وراء انخفاض معدلات الوفيات خلال القرنين التاسع عشر والعشرين حيث أكدت الدراسات أن معظم الانخفاض في معدلات الوفيات كان

---

[68] المرجع السابق، ص.14.

نتيجة إلى تغير طبيعة العلاقة بين الميكروبات المسببة للأمراض المعدية والإنسان نتيجة لإرتفاع مستوى المعيشة وتحسين نظم التغدية من ناحية وتقليل احتمالات التعرض للمرض عن طريق زيادة إجراءات الصحة العامة واتباع الأساليب الصحية والوقائية.

ب_نظرية التحول الوبائي epidemiology transitio لعبد الرحيم عمران:

تعد هذه النظرية من أهم النظريات التي تناولت التغيرات في نمط الإصابة بالأمراض وعلاقاتها بالتغيرات السكانية والاجتماعية والاقتصادية. وقد قام بوضع هذه النظرية عبد الرحيم عمران[69] سنة 1971 من خلال محاولته لتوصيف وتحديد أهم العوامل والنتائج المترتبة على التغيرات في نمط الإصابة بالأمراض وعلاقتها بالتحضر في الدول الغربية ومدلولاتها بالنسبة للدول النامية، وقد قامت هذه النظرية على خمس فرضيا أساسية:

الوفاة هي عنصر أساسي في آليات التغيرات السكانية.

وجود ارتباط وثيق بين التغير والتناقض في معدلات الوفاة بتغير نمط الإصابة بالأمراض من الأوبئة والأمراض المعدية إلى الإصابة بأمراض تناكسية من صنع الإنسان.

أن الأطفال والسيدات في سن الحمل هم أكثر الفئات استفادة خلال فترة التحول الوبائي.

---

[69] عبد الرحيم عمران: طبيب أمريكي من أصل مصري، عمل كأستاذ للوبائيات بمدرسة الصحة العامة، شغل منصب مدير المركز المتعاون بجامعة كارولينا الشمالية بتشابل هيل في الولايات المتحدة الأمريكية، شارك في العديد من الأبحاث العلمية، كما له العديد من الأبحاث نشرت من قبل منظمة الصحة العالمية، في عام 1971م صاغ نظريته التي ذاع صيتها في جميع أنحاء العالم، وأطلق عليها تسمية نظرية التحول الوبائي. أعاد عمران النظر في نظريته في العام 1999م، مستفيدا من النقد الذي وجه له، وذلك لتتوافق مع الدول المتقدمة، وكان قبيل وفاته مباشرة.

وجود ارتباط وثيق بين التغير في نمط الإصابة بالأمراض وظاهرة التحضر بما تشمله من تغيرات ديموغرافية واقتصادية واجتماعية.

إن التحول الوبائي في أي مجتمع يعتمد على معدلات التغير في نمط الإصابة بالأمراض وسرعتها ومسبباتها. وقد قسم عمران مراحل التغير في أنماط الوفاة إلى ثلاث مراحل مختلفة:

المرحلة الأولى(مرحلة الأوبئة والمجاعات):

"وهي مرحلة تعد امتداد للأنماط التي حدثت منذ العهود القديمة، والتي تكون الأمراض المتوطنة وأمراض نقص التغدية والأوبئة مصدرا للوفيات وخاصة فئات صغار السن والشباب"[70] إذا فهي مرحلة إمتدت منذ قرون عديدة واسمرت حتى بدايات منتصف القرن العشرين الميلادي. حيث صنف عمران أمراض هذه المرحلة على أساس أنها امتداد لأنماط الأمراض السائدة في العصور القديمة, والتي تشكل فيها الأمراض المتوطنة, وأمراض نقص التغذية "المجاعات", والأوبئة خطرا قضى على العديد من السكان في تلك الفترة خاصة فئة صغار السن والشباب. وتميزت هذه المرحلة بانخفاض معدلات نمو السكان, حيث إن ارتفاع معدلات المواليد تزامن مع ارتفاع معدلات الوفيات. وقد كانت للمجاعات والأمراض الوبائية السائدة في ذلك الوقت دورا رئيسا في حدوث ذلك.

وتعتبر المجاعات والأمراض الوبائية بشكل عام ضلعين مهمين في ما عرف بثالوث مالتوس المشئوم " المجاعات والأوبئة والحروب".فالمجاعات تنتج غالبا بفعل الكوارث الطبيعية التي تتسبب أما في حدوث فيضانات تدمر وتتلف المحاصيل

---

[70] خلف الله حسن محمد، **الصحة والبيئة في التخطيط الطبي**، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999)،ص.61.

الزراعية, أو جفاف يقضي عليها أو يحول دون قيامها. مما يؤدي إلى عدم توفر الأغذية اللازمة لسكان المناطق التي تعرضت لتلك الكوارث.

وترتبط العديد من الأوبئة بالقحط والمجاعات, فعلى اثر حدوث المجاعة يتبع ذلك ظهور بعض الأمراض الوبائية كالطاعون Plague, الحصبة, الجدري Smallpox, الكوليرا Cholera, الدفتيريا, الاسهالات المعوية, السل, والأنفلونزا Influenza وجميع تلك الأمراض كانت تحصد أرواح الملايين من الناس خاصة الأطفال منهم, فهؤلاء لم يكونوا قد اكتسبوا المناعة ضد الأمراض, ولم تكن المطاعيم والأمصال للوقاية من المرض قد عرفت بعد, أو لم تكن منتشرة في كل أنحاء العالم. كما ارتبط انتشار الأمراض الوبائية بعوامل عدة كنقص المياه النقية, وسوء الشروط الصحية والبيئية العامة, وسوء حالة المواصلات, ونقص التعليم, وغياب التوعية الصحية, وهذه العوامل جميعها كانت سائدة في ذلك الوقت.

وتعتبر الأمراض المعدية والطفيلية من المسببات الكبرى للوفيات المرتفعة في الدول النامية, وهي المسئولة بصفة خاصة عن وفيات الأجنة قبل الوضع ووفيات الطفولة, وقد أظهرت الإحصائيات العالمية المرتبطة بالعمر بأن أكثر من 15% من كل أطفال الدول النامية سوف لن تصل إلى 15سنة. وهذه الأمراض لا تزال تلعب دور في الدول الفقيرة حيث إن معدلات الوفاة عموما ووفيات الأطفال الرضع على الخصوص تصل إلى 150 لكل ألف من السكان في السنة، وهي تماثل تلك التي سادت في دول أوربا خلال القرن السابع عشر والثامن عشر والتي كانت تتعرض لمثل هذه الأمراض الوبائية وتؤكد منظمة الصحة العالمية بأن الأمراض المعدية والطفيلية وأمراض الجهاز التنفسي بالإضافة إلى حالات سوء التغذية هي المسؤولة عن معظم الوفيات في العالم الآن.

هذا ويعتبر مرض الطاعون Plague "الموت الأسود"من أشد أمراض المرحلة الأولى من مراحل التحول الوبائي فتكا وخطرا. ففي أوربا في مرحلة ما قبل التصنيع أدى مرض الطاعون إلى فقد معظم سكان المدن الأوربية خلال بضعة شهور, ويقال أن ايطاليا فقدت نصف سكانها, وإن كلا من انجلترا وفرنسا فقدتا ثلث سكانهما فيما فقدت قبرص كل سكانها. أما في الدول النامية فقد انتشر مرض الطاعون بصورة خطيرة ومفزعة ففي دولة الكويت على سبيل المثال انتشر المرض سنة 1831 م وهلك معظم السكان, ولم ينج من الوباء إلا بعض البحارة الذين كانوا خارج الكويت وقت اجتياح المرض, وحين وصلوها وجدوها شبة خالية من السكان... ... وكان الطاعون قد انتشر في البصرة سنة 1773م وأفنى السكان ثم سنة 1802, 1831م, وفي مسقط و بوشهر. و قد شكل الجدري أحد الأمراض الوبائية الفتاكة في تلك المرحلة فقد ضرب منطقة الخليج العربي في ثلاثينيات القرن العشرين مثيرا رعبا كبيرا بين السكان, وفي مدينة لندن بإنجلترا قتل الجدري مابين أعوام 1780م إلى 1800م ما يربو على 36000من البشر. كما أدت الأنفلونزا Influenza إلى قتل أعداد كبيرة من السكان, كان أقساها الذي حدث في 1918-1919م حيث أودى المرض بحياة ما يربو عن 20 مليون نسمة, وهو أكثر من العدد الكلي لضحايا الوفيات في الحرب العالمية الأولى[71].

---

[71] نسم ماطر، **نظرية التحول الوبائي**،
https://www.google.dz/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=4&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwjAl--ftMLJAhUL2hoKHXU1DVYQFgg2MAM&url=http%3A%2F%2Fwww.arabgeographers.net%2Fvb%2Fattachments%2Fattachments%2Farab684%2F&usg=AFQjCNHZ407elyWoXUwlIVpmf1f4emGVPw&bvm=bv.108538919,d.d24، يوم: 2015/12/03، الساعة: 15.30

المرحلة الثانية(مرحلة انحصار الأوبئة):

تبدأ هذه المرحلة من منتصف القرن العشرين, حيث انخفض فيها معدل الوفيات بشكل متسارع – وان كان يبدو ذلك الانخفاض انخفاضا بطيئا في البداية–, في حين أن معدلات المواليد بقيت مرتفعة. وأدى ذلك الانخفاض في معدلات الوفيات خاصة في فئة صغار السن وفئة الشباب لزيادة معدلات نمو السكان, "ويرجع ذلك الأمر إلى التحسن في الحالة الصحية العامة للسكان ففي هذه المرحلة تنخفض معدلات الوفيات في الأطفال والتي تؤدي بدورها إلى زيادة معدلات نمو السكان"[72] منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. فمع تطور الطب وتقدم المستوى العلاجي في مقاومة الأمراض من خلال اكتشاف الطعوم والأمصال, وتوفر الأدوية استطاع العالم التغلب على العديد من الأمراض الوبائية التي كانت في الماضي تشكل تهديدا عظيما يقف في وجه الإنسان ويهدد وجوده على الأرض. وقد ساعد التطور الاقتصادي الذي طرأ على عددا من الدول في تحسين الحالة الصحية بفعل تبني السياسات الرامية لتحقيق ذلك. كما أن لمنظمة الصحة العالمية World Health Organization "WHO " دورا كبيرا ساهمت من خلاله ببرامجها المتعددة في القضاء على العديد من تلك الأمراض والأوبئة[73].

و يمكن تسمية هذه المرحلة بالمرحلة الانتقالية, والتي ينتقل فيها المجتمع من ناحية صحية من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثالثة من مراحل التحول الوبائي, بحيث ينتقل المجتمع صحيا من نمط الأمراض الوبائية المعدية والتقليدية نحو نمط الأمراض المزمنة.

---

[72] خلف الله حسن محمد، **الصحة والبيئة في التخطيط الطبي**، مرجع سابق، ص.61.

[73] نسم ماطر، **نظرية التحول الوبائي، مرجع سابق**.

المرحلة الثالثة (مرحلة الأمراض الانحلالية والأمراض من صنع الإنسان):

تتميز معدلات نمو السكان في هذه المرحلة بنموها البطيء, حيث تنخفض معدلات الوفيات وكذلك معدلات المواليد. وتحدث الوفيات في هذه المرحلة في سن متأخرة " سن الشيخوخة" عكس الوفيات في المرحلة الأولى والتي كانت تحدث لدى فئة صغار السن والشباب.

ففي الدول التي وصلت لهذه المراحل –وهي بشكل عام دول متقدمة– تم القضاء على الأمراض الوبائية الخطرة بشكل تام, وانتقلت بتغير طبيعة الأمراض لمرحلة الأمراض المزمنة Chronic Diseases كالأمراض الخبيثة Malignant Diseases مثل مرض السرطان Cancer بأنواعه المختلفة, وأمراض القلب, ومرض السكر Diabetes Mellitus, وأمراض ضغط الدم, وأمراض الفشل الكلوي, وأمراض التحضر كأمراض سوء التغذية Malnutrition "السمنة وزيادة الوزن "Obesity", والأمراض المهنية Occupational Diseases والأمراض النفسية. والأمراض الانحلالية Degenerative Diseases الناجمة عن التفسخ الأخلاقي كمرض نقص المناعة المكتسب Human Immuno deficiency "الإيدز AIDS".

فمرض القلب يعتبر حاليا المسبب الأول للوفاة في العالم. حيث يودي سنويا بحياة أكثر من ستة ملايين شخص... ففي بريطانيا مثلا يتسبب مرض القلب بوفاة شخص كل ثلاث دقائق. أما في الولايات المتحدة الأمريكية فتسقط ضحية بسببه كل دقيقة واحدة. ويموت العديد من الأشخاص بهذا المرض في سن مبكرة... ... لقد أصبح مرض القلب مرضا متفشيا ومميتا. والمشكلة مرشحة للاستمرار والتفاقم لأن الناس يعيشون حياة أطول اليوم ويتبعون أساليب عيش غير صحية... وإذا استمرت الأحوال

على ماهي عليه, فإن هذا المرض سيكون مسؤولا بحلول عام 2020م عن وفاة 19 مليون شخص كل سنة.

أما فيما يخص مرض السرطان فإنه مابين الأطفال الذين ولدوا في العام 1986م هناك احتمال أن يصاب بالسرطان في نهاية المطاف واحد من ثلاثة. ومن بين المصابين الذكور هناك احتمال وفاة واحد من كل أربعة, والإناث واحدة من كل خمس مصابات تقريبا. وكما أن الأبحاث أثبتت أن 80% من حالات السرطان ناتجة عن الظروف المحيطة بنا.

وقد ظهرت العديد من هذه الأمراض كنتيجة لمستوى التحضر الذي وصل إليه العالم اليوم, سواء كان ذلك التحضر تحضرا اقتصادي أم حضاري أم تقني. فانتقال الإنسان من الحياة الريفية البسيطة التي كانت تعتمد على الجهد البدني بشكل كلي ومباشر في إنجاز جميع شئون الحياة اليومية, إلى الحياة التي أصبح للآلة فيها الكلمة الأولى, وأصبحت تلك الآلة تسير كافة أوجه الحياة, وأصبح بمقدور الإنسان من خلالها اختزال الوقت والجهد في تأدية أعماله, فاستمرت وتيرة الحياة بشكل متسارع توفر للإنسان جهده العضلي, والذهني فرغم أن للتحضر والتقدم جوانب ايجابية, فأن له جوانب سلبية أثرت مباشرة على الإنسان وعلى صحته في المقام الأول فظهرت الأمراض الخطرة التي أصبحت تلازمه لفترات طويلة, وتهدد بقاءه على سطح الأرض.

وكذلك فإن معظم الأمراض المزمنة التي يشهدها العالم تنجم عن نمط الحياة العصرية لمظهرها المتسارع وطبيعتها الفوضوية, والتي ساعدت في خلق تلك الأمراض, فنمط الغذاء السائد في العديد من الدول والذي يمتاز بارتفاع السعرات الحرارية وقلة المواد المغذية, أدى لظهور أمراض لم يعرفها الإنسان من قبل, كما أن وسائل المواصلات التي سهلت انتقال الإنسان بين مختلف الأقاليم والمناطق في العالم

ساعدت في انتقال الأمراض خاصة ذات الطبيعة الانتقالية كمرض الإيدز والأمراض الالتهابية الحادة, كما أنها ساعدت في إعادة توزيع وانتشار الأمراض على مستوى العالم, كما أن للتطور الصناعي والحضاري دورا سلبيا في تلويث البيئة والذي انعكس على الإنسان وصحته في المقام الأول, ثم أن لحالة الفوضى الذي عاشها العالم من خلال الحرب الكونية الأولى والثانية والحروب الإقليمية, التي استخدمت فيها الأسلحة النووية والذرية والبيولوجية, والمحرمة دوليا, والسباق الدولي للتسلح خاصة التسلح النووي أدت جميعها لخلق العديد من الأمراض الفتاكة التي وقف الإنسان عاجزا في حيرة من أمره أمامها.

وبشكل عام فإن دول العالم تتفاوت في المرور بهذه المرحلة من مراحل التحول الوبائي, ويرجع ذلك للتباين في معدلات النمو الصناعي والحضاري والاقتصادي. ففي حين أن الدول المتقدمة قد وصلت لمرحلة الأمراض الانحلالية والأمراض من صنيع الإنسان, إلا أننا نجد أن العديد من الدول النامية لا تزال تمر في المرحلة الانتقالية من مراحل التحول الوبائي فمعظم هذه الدول استطاعت القضاء على العديد من الأمراض الوبائية المعدية ولكنها في نفس الوقت أصبحت تعاني من ظهور أمراض مزمنة عصرية, ولكن ليس بالمستوى الذي وصلت له الدول المتقدمة, في ذلك الحين نجد أن الدول الفقيرة وخاصة تلك التي في أفريقيا لا تزال تنؤ بعبء أمراض المرحلة الأولى.

وقد أرجع عمران السبب الرئيسي للتحولات السابقة في نمط الإصابة بالأمراض إلى ثلاثة عوامل هي:

تغير طبيعة الأمراض والبيئة البيولوجية المحيطة بها مع زيادة مناعة الإنسان ضد الميكروبات والفيروسات المسببة لهذه الأمراض.

ارتفاع مستويات المعيشة وتبني العادات الصحية وأساليب التغذية السليمة والصحة العامة.

تقدم وانتشار الأساليب الوقائية والعلاجية الحديثة وخاصة التطعيمات والمضادات الحيوية[74].

أما عن تصنيف التحول الوبائي دوليا فقد قسمه عمران إلى ثلاث نماذج أساسية هي:

النموذج الكلاسيكي الغربي: يمثل هذا النموذج تجربة الدول الغربية حيث اتصف الانخفاض في معدلات المواليد والوفيات بالتدرج وتزامنه مع عملية التقدم الاقتصادي والاجتماعي في هذه الدول. وتعتبر العوامل الاقتصادية والاجتماعية وعلى رأسها انتشار أساليب الصحة العامة والتعديلات الهيكلية في طرق الصرف الصحي في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين هي المحدد الرئيسي لتغير نمط الإصابة بالأمراض في ظل هذا النموذج. وقد لعب التقدم الاقتصادي والاجتماعي الذي صاحب هذه التغيرات في نمط الإصابة بالأمراض دورا إيجابيا في خلق الظروف الملائمة لنشر أساليب الحد من الإنجاب مما قلل من حد النمو السكاني المترتب على مثل هذه التغيرات[75]".

النموذج المتسارع:

يصف هذا النموذج التجربة اليابانية وما اتسمت به من انخفاض سريع في معدلات وفياتها. ويتشابه نمط الانخفاض في ظل هذا النموذج مع النموذج الكلاسيكي الغربي إلا أن معظم الدول التي اتبعت هذا النموذج اتسمت بدخولها مرحلة التنمية الحضارية

---

[74] مجلس السكان الدولي، **مقدمة في علم السكان وتطبيقاته**، زينب خضر، الفصل الأول(**النظريات السكانية**)، مرجع سابق، ص.15.

[75] المرجع السابق، ص.15.

قبل حدوث انخفاض في معدلات وفياتها في القرن العشرين. وهو ما أدى إلى انخفاض في معدلات الوفيات نتيجة لتفاعل كل من تبنى أساليب الصحة العامة والتقدم الطبي الحديث بالإضافة إلى التنمية الاجتماعية الشاملة. وقد لعبت طموحات هذه الدول سواء على مستوى الفرد العادي أو على مستوى الدولة عموما دورا هاما في وضع حدا للزيادة السكانية وخلق الدافع القوى اللازم للحد من الإنجاب. وهو بذلك "نموذج شبيه بالكلاسيكي ومن خصائصه أن انتشار الاجهاض المتعمد يلعب دورا أساسيا في انخفاض الخصوبة، ويحدث هذا النمودج في فترة قصيرة نسبيا كما في اليابان وشرقي أوروبا بما في ذلك روسيا.[76]

النموذج الحديث أو المتأخر:

يمثل هذا النموذج تجربة كثير من الدول النامية. ويتميز هذا النموذج ببدء الانخفاض الحقيقي في معدلات الوفيات بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة في ظل تبني الكثير من الدول النامية أساليب وإجراءات الصحة العامة المصدرة إليها من الدول المتقدمة كجزء أساسي من المعونات الصحية الدولية. غير أن هذه الأساليب والإجراءات مع نجاحها في خفض معدلات الوفيات لم تخلق لدى هذه الدول سواء على المستوى الفردي أو على المستوى القومي الدافع القوي للحد من معدلات إنجابها خلال المراحل الأولى من التحول الوبائي مما ترتب عليه معدلات زيادة سكانية غير مسبوقة في كثير من هذه الدول. وقد تبنت الكثير من الدول التابعة لهذا النموذج برامج تنظيم الأسرة والحد من الإنجاب لمواجهة تلك المعدلات المرتفعة من الزيادة السكانية. وقد

---

[76] أحمد قطيطات، **الهبة الديموغرافية في الوطن العربي، المؤتمر الاحصائي العربي الأول**، (الأردن: عمان، 2007)، ص.406.

ساهمت الكثير من الدول المتقدمة في الدعم المادي والفني لنشر تلك البرامج بين سكان تلك الدول[77].

وقد جاءت بعد النظرية التي وضعها عبد الرحيم عمران، نظرية أخرى أطلق عليها إسم المرحلة الرابعة من التحول الوبائي، وهي امتداد لنظرية عمران، حيث تم تقسيم المرحلة الثالثة من نظريته إلى مرحلتين على يد كل من أولشنسكي Olshansky، وأولت AULt.

2- نظرية الوضع الاجتماعي (الخاصية الشعرية):

ظهرت الصياغة الأولى لهذه النظرية من قبل العالم الديمغرافي (أرسين ديمون)، وذلك عام 1890م. حيث تبين هذه النظرية أن محاولة الفرد في الارتقاء الاجتماعي أو ما يسمى بالحراك الاجتماعي يشبه الماء المندفع في الأنابيب الشعرية، فكلما ضاقت فوهة الأنبوب الشعري كلما زاد اندفاع الماء إلى الأعلى،بمعنى أنه كلما قل أو انخفض مستوى خصوبة الفرد زاد ارتقاؤه في السلم الاجتماعي، تماما كالماء الذي يزداد ارتفاعه في الأنابيب ذات الأنصاف القطرية الضيقة، فالعلاقة في هذه الحالة علاقة عكسية.

ويسمى ديمون ظاهرة الارتقاء من طبقة إلى طبقة أعلى منها بظاهرة الارتقاء الاجتماعي، أو التقدم أو الحراك الاجتماعي الصاعد، الذي يعد من أهم المحركات أو الأسباب التي تدفع الأفراد إلى تحديد نمو الأسر. وضمن عملية الارتقاء هذه يصبح الفرد أقل ميلا من الناحية الاجتماعية على التناسل، لأنه يبتعد عن بيئته الطبيعية ويفقد نتيجة لدلك اهتمامه بالأسرة، إذ لا يكون لديه وقت لتكوينها، كما ويركز كل

---

[77] مجلس السكان الدولي، **مقدمة في علم السكان وتطبيقاته**، زينب خضر، الفصل الأول(**النظريات السكانية**)، مرجع سابق، ص.15.

اهتمامه على عملية الارتقاء الاجتماعي التي تعود عليه شخصيا بالفائدة. وتعد هذه الأفكار والأطروحات مؤيدة تماما للأفكار القائلة بأن التقدم الحضاري عامل رئيسي في إضافة الرغبة في الإنجاب والتكاثر، وبأن طموح الأفراد في تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية مرتبطة دائما بتخفيض حجم أسرهم، تماما كالماء الذي يتمكن من لارتفاع إلى أعلى بقوة الخاصية الشعرية للأنابيب الضيقة، ويمكن اختصار مضامين هذه النظرية بالشارة إلى الإنسان يستطيع ارتقاء السلم الاجتماعي إذ قلل عدد أبنائه، يقول ديمون:" إن الشعرية بالنسبة للنظام الاجتماعي هي كالجاذبية بالنسبة للعالم الطبيعي"[78]

وعليه فإن انخفاض مستويات الخصوبة ومعدلاتها بالنسبة للنساء العاملات شيء طبيعي، لأن النساء يجدن أنفسهن محملات بأعباء عملية متخصصة بالإضافة إلى أعمالهن الروتينية في منازلهن، وأنه كما أشار قسم التنمية الاقتصادية والاجتماعية، التابع لهيئة الأمم المتحدة:" ستصبح المرأة صائدة خبز، على مستوى عائلتها بدلا من أن تكون عاملة في سوق العمل، الأمر الذي يزيد من رغبتها في تخفيض حجم أسرتها، كما أن للتعليم، وبالذات للمرأة أثر على معدلات الخصوبة، وبغض النظر عن التقدم الحضاري للمجتمعات فارتفاع مستوى التعليم يزيد من فهم تحمل المسئولية العائلية الأمر الذي يوضح العلاقة العكسية بين مستوى الأمية وارتفاع معدلات الخصوبة"[79].

---

[78] فتحي محمد أبو عيانة، **دراسات في علم السكان**، ط2، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 2000)، ص.279.

[79] أسعد بن محمد عطية، **مؤشرات خصوبة سكان دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية**، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 12، العدد24، دون سنة نشر، ص.61.

3- نظرية الكلفة في الخصوبة:

أهم رواد هذه النظرية العالم الديموغرافي لبنستاين الذي يرى أن أفراد المجتمع يتصرفون بحكمة وعقلانية بخصوص سلوكهم الإنجابي، وأن الناس عادة ما يطبقون حساباتهم الأولية بخصوص تحديد عدد الأولاد المرغوب بهم. وهذه الحسابات الأولية هي حسابات موجهة بشكل مباشر نحو تحقيق الرضي والمنفعة المستمدة من إنجاب طفل إضافي، كذلك نحو حسابات التكلفة الناجمة عن إنجاب الأطفال.

وبشكل عام فقد أشار لبنستاين إلى أن هناك ثلاث منافع مستمدة من إنجاب الطفل الإضافي، وهي:-

1) منفعة نفسية: حيث أن الطفل الإضافي مصدر سرور لوالديه.

2) منفعة اقتصادية: حيث يعد إنجاب الأطفال ووجودهم في الأسرة عامل إنتاج ومصدر دخل جديد، فكل طفل جديد يعني ساعد جديد يضاف إلى قوة العمل في الأسرة.

3)المنفعة المتوقعة من الأبناء: كخدمة الوالدين عند الشيخوخة أو في حالة المرض أو العجز (فالأولاد كثيرا ما ينظر إليهم ضمن هذه الاعتبارات كمصدر ضمان في حالة عجز ومرض وشيخوخة الوالدين).

كما أشار لبنستاين إلى وجود نوعين من التكلفة بالنسبة للطفل الإضافي، وهي:-

1) كلفة مباشرة: ويمكن حسابها من خلال النفقات المادية المستمرة لإعالة الأطفال، إلى أن يبلغوا مرحلة القدرة على إعالة أنفسهم.

2) كلفة غير مباشرة: تحسب من خلال إضافة فرص العمل على المرأة في حالة إنجاب الأطفال، من خلال المنافسة على وقتها، واستهلاك أغلب مجهودها وقدرتها

على الإنتاج. حيث ان إنجاب الأطفال من شأنه أن يضع المرأة أمام خيارين لا ثالث لهما، فإما البقاء بسوق العمل وبالتالي تخفيض عدد الأطفال المنوي إنجابهم، أو الخروج نهائيا من سوق العمل، وبالتالي إنجاب العدد المرغوب فيه من الأطفال.

4- نظرية التحول الديموغرافي الانتقالية الديموغرافية:

"يرتبط مفهوم التحول الديموغرافي بالتحولات النوعية الناجمة عن التغيرات الكمية في الخصائص السكانية، فالمعروف أن التغيرات الكمية تقضي إلى تحولات كيفية. فانخفاض معدلات الوفيات والخصوبة، ومن ثم انخفاض معدل النمو السكاني وتباطئه ليصل إلى مستوى الاحلال، يصل بالسكان إلى مرحلة كيفية هي التحول الديموغرافي الذي يمنح المجتمع فرصة سكانية تسمى "النافذة السكانية"[80]، والتحول الديموغرافي هو الانتقال من نظام ديموغرافي تقليدي، حيث الخصوبة ووفيات عالية، إلى نظام خصوبة ووفيات حديثة، حيث هي أقل بكثير من ذلك[81]

وتسعى هذه النظرية إلى، تفسير تجارب البلدان المصنعة خلال القرنين الماضيين من الزمن والتي انتقل فيها من حالة النمو السريع إلى حالة النمو البطيء. ويعتقد الباحثون المؤيدون لهذه النظرية أن انخفاض خصوبة المرأة الأوروبية قد تم على أساسين:

الأساس الأول: تمثل باستبدال السلوك الزواجي(متمثلا بتأخير سن الزواج عوضا عن الزواج المبكر).

---

[80] ميثاء سالم الشامسى، **السياسات السكانية والتحول الديموغرافي في الوطن العربي مع إشارة خاصة إلى دول مجلس التعاون**، (الامارات العربية المتحدة: برنامج المنتدى العربي للسكان، 2004)، ص.10.

[81] A.avdeev,**histoire de la population mondiale et transition demographique /histoire de peuplement**, 2013,p.5.

الأساس الثاني: تمثل في تبدل السلوك التكاثري، عن طريق المباعدة بين المواليد باستخدام وسائل تنظيم الحمل.

ويمكن أن نلخص عملية التحول الديموغرافي هذه بثلاث مراحل هي :

مرحلة التوازن المرتفع : تتميز بمعدلات خصوبة مرتفعة، وكذلك معدلات وفاة مرتفعة، ما يؤدي إلى نمو سكاني منخفض.

مرحلة التحول: تتميز هذه المرحلة بانخفاض سريع في معدل الوفيات وارتفاع في معدل الخصوبة، مما يؤدي إلى نمو سكاني مرتفع.

مرحلة التوازن المنخفض: تتميز بانخفاض الزيادة الطبيعية للسكان، والنجمة عن انخفاض كل من معدلات الولادة والوفاة على حد سواء

ونستطيع أن نختصر هذه المراحل على شكل المعدلات التالية:

- توازن مرتفع = (↑D↑−B= نمو سكاني منخفض)
- مرحلة التحول = (↑D↓−B= نمو سكاني مرتفع)
- توازن منخفض =(↓D↓−B= نمو سكاني منخفض)

وقد مثلت العلاقة بين السكان والنمو والتنمية محل جدل وخلاف نظري كبير بين الاقتصاديين؛ حيث لم يتم حسم الخلاف حول ما إذا كان نمو السكان يحفز أو يضر أو ربما لا يؤثر في عملية النمو والتنمية.

وقد ركزت المدارس الكلاسيكية بشكل محدد ومنحصر على فكرة حجم، نمو السكان دون إيلاء النظر إلى هيكل السكان .ولكن مؤخرا، تزايدت أهمية دراسة العلاقة بين السكان والتنمية نتيجة للتحولات الديمغرافية التي أضحت تشهدها الدول النامية، حيث أصبحت هذه الدول تتفاوت بشكل كبير في مراحل مختلفة من التحول الديمغرافي.

ترتبط قضية التحول الديمغرافي بمحورين أساسيين :المحور الأول هو نظرية التحول الديمغرافي التي ظهرت نتيجة للتحولات الديمغرافية التي شهدتها دول غرب أوروبا عقب الحرب العالمية والتي تمثلت بشكل رئيسي في انخفاض معدلات الخصوبة ومعدلات الإنجاب، أما المحور الثاني، فهو ظهور الكتابات الحديثة التي أولت الاهتمام بظاهرة التغير في الهيكل العمري ومثلت إعادة إحياء لنظرية التحول الديمغرافي .وتمر الدول بعملية تحول ديمغرافي تحدث في خمس مراحل، يتمثل أهمها بمرحلتي انخفاض معدلات الوفاة واستمرار معدلات الخصوبة في الارتفاع، ثم انخفاض معدلات الخصوبة تدريجيا، حيث ينجم عن هذه التحولات نتيجة خطيرة وهي ارتفاع نسبة السكان في سن العمل (15 – 64) وانخفاض معدلات الإعالة؛ وهي المرحلة التي يطلق عليها النافذة الديمغرافية[82].

خلال مرحلة النافذة الديمغرافية يكون نمو السكان في سن العمل بمعدلات أسرع من معدل النمو السكاني ويترتب على ذلك ارتفاع معدلات التشغيل ومعدلات الادخار، وهي الأمور التي تؤدي إلى تحسين مؤشرات الأداء الكلي في تلك الدول، إذا ما واكبت هذه المرحلة السياسات الملائمة التي تساعد على تعظيم العائد من تلك النافذة، وتفترض النظرية أن النافذة الديمغرافية يمكنها أن تؤثر في عملية النمو والتنمية من خلال عدة آليات أهمها:

1/ زيادة عرض قوة العمل سواء من طريق الزيادة الطبيعية في حجم قوة العمل أو من طريق زيادة مشاركة المرأة في سوق العمل مع انخفاض معدلات الخصوبة.

---

[82] ماجد عثمان، هبة نصار، سارة محمد الدمرداش الخشن، **دور السياسات في الإسراع بالتحول الديموغرافي**(دراسة حالة شرق آسيا والدروس المستفادة لمصر)، بحوث اقتصادية عربية، العدد 65، شتاء2014، ص.140،141.

2/ الادخار والاستثمار؛ فمن المفترض أن فئة السكان في سن العمل هي الفئة ذات القدرة الأكبر على الادخار.

3/ رأس المال البشري، من خلال عدة قنوات من أهمها أن ارتفاع العمر المتوقع عند الميلاد وتحسن الصحة يؤديان إلى تغير كبير في أنماط وسلوكيات الأفراد تجاه أطفالهم؛ وبخاصة في ما يتعلق بالتعليم.

وقد أكدت العديد من الدراسات التطبيقية الدور الهام الذي يؤديه التحول الديمغرافي في النمو، ومثلت نتائجها دعما قويا لنظرية النافذة الديمغرافية .فقد توصلت دراستا كل من بارو وكيلي وشميدت إلى معنوية تأثير المؤشرات الديمغرافية في النمو .أما دراسة بلوم وويليامسون فتوصلت إلى أن زيادة نسبة السكان في سن العمل بمقدار 1 بالمئة تؤدي إلى زيادة معدل نمو ناتج الفرد ب 1.64بالمئة.

وأخيرا، أرجعت فيرر حوالى ربع ثلث الفجوة الإنتاجية بين الدول الغنية والفقيرة إلى اختلاف الهيكل الديمغرافي بين تلك الدول.

5- نظرية تركيب العائلة:

صيغت هذه النظرية من قبل عالم الاجتماع جوود وآخرين عام 1963م، وتنص هذه النظرية على أن التصنيع والتحضير عملا على تدمير وتكسير نظام العائلة الممتدة، وهي العائلة التي عادة ما يتم بداخلها صناعة أغلب القرارات ذات العلاقة بالأسرة وعناصرها، حيث يتم ضمن نطاقها كافة العمليات الاقتصادية والاجتماعية لأفراد الأسرة. على خلاف ما يجري في العائلة النووية المستقلة، التي تصنع عادة قراراتها من قبل الزوجين نفسهما سواء قبل الزواج أو بعده. وتخضع قراراتها عادة لمفهوم الانتقاء والاختيار خاصة في مواضيع تتعلق بالزواج، اختيار مكان الإقامة والعمل، وقرارات الحمل والإنجاب وغيرها من القرارات.

هذا وقد ذهبت هذه النظرية إلى أن التصنيع يتلف نظام العائلة التقليدية الممتدة، ويخلق حركة طبقية نشطة ضمن مجموعة القرابة، بحيث يقيم مؤسسات إضافية لمواجهة حاجات الأفراد المتزايدة، ومعالجة المشكلات التي تواجههم، وهذا بدوره يؤدي إلى التقليل من فرص الاعتماد على نسق أو مؤسسة القرابة في قضاء حاجات الأفراد وتسير أمورهم. كما يؤدي التصنيع من وجهة نظر قوود إلى التقليل من سلطة ونفوذ الأقارب على الزوجين، ويؤدي كذلك إلى زيادة انتشار نمط الأسرة النووية، ويعمل على رفع سن الزواج، ويزيد من استقلالية وحركة جيل الشباب، مما يزيد من محاولات إمساك الزوجين بقراراتهما المختلفة بما فيها قرارات الخصوبة والإنجاب.

6- نظرية اتجاه تدفق الثروة (كالدويل)

تعتبر هذه النظرية من أهم النظريات التي تناولت موضوع الطلب على إنجاب الأولاد، مستندة في تفسيرها لانحدار مستويات الخصوبة على التغيرات الطارئة على اتجاهات تدفق الثروة لبعض المجتمعات الإفريقية. وتعزو هذه النظرية ارتفاع الخصوبة في مثل هذه المجتمعات النامية إلى انتشار نظام العائلة الممتدة، وإلى سيطرة كبار السن وخصوصا الذكور منهم على موارد الأسرة، ما يؤدي إلى تدفق الثروة المكونة من سلع وأموال ومساعدات من جيل الأبناء إلى جيل الآباء، الأمر الذي من شأنه أن يجعل الخصوبة المرتفعة من مصلحة الذكور كبار السن، بصفتهم أصحاب القرار داخل الأسرة.

وترى هذه النظرية أن انخفاض الخصوبة عندما تتقلص العلاقة الأسرية نحو الأسرة البيولوجية، وتتراجع سلطة الكبار، وخاصة الذكور منهم وينتج هذا التحول في نظر كالدويل عن عملية التنمية الاجتماعية – الاقتصادية التي تحول نظام الإنتاج الاقتصادي من نظام عائلي إلى نظام السوق. وهكذا فإن اتجاه تدفق الثروة في هذه

المرحلة يصبح عكسيا أي من الآباء إلى الأبناء، مما يترتب عليه أن تزداد تكلفة إنجاب الأطفال، ويصبحوا عنصر تكلفة وليس عنصر منفعة.

7-نظرية كاين(Cain):

وهي نظية ذات صيغ ديموغرافية اجتماعية واضحة، وقد ركزت جل اهتمامها على تناول مفهوم الطلب على الأطفال، وقد طور أسس هذه النظرية (كاين) عبر عدة دراسات. وبصورة عامة فقد ركزت هذه النظرية على قيمة الأولاد كمصدر ضمان وحماية للأهل في البلدان النامية. فقد اعتبر كاين أن كادويل لم يعط اهتماما كافيا لمنفعة الأولاد كضمان في وجه الخطر المعيشي الذي يواجه الأسر في البلدان الفقيرة مثل الهند وبنغلاداش حيث تواجه المرأة فيها بشكل خاص شتى أنواع القهر والظلم والاستلاب والعنف وشتى المخاطر الاقتصادية أو الصحية أو الاجتماعية.

وقد اعتبر كاين أن مكانة المرأة المتدنية نتيجة اعتمادها الاقتصادي على الرجل يجعلها أكثر عرضة للخطر في حال الترمل أو الطلاق أو في حالة مرض الزوج، الأمر الذي يؤدي إلى تعزيز رغبتها في إنجاب الأولاد بغية تأمين العدد الكافي منهم كضمان بوجه المخاطر المفترضة والتي يمكن أن تمر بها مستقبلا.

وقد رأى كاين أن العائلة الممتدة قد تشكل مصدر حماية في حالات الخطر والشيخوخة، واعتبر خلافا لكادويل أن انتشارها قد يكون عامل ضبط لمستوى الخصوبة[83].

8-نظرية ديفيز وبلاك(Davis And Black) (المتغيرات الوسطية):

لعل من أوائل المحاولات لتحديد الآيات أو العوامل التي يمكن أن تضبط مستويات الخصوبة السكانية، تلك التي قام بها كل من ديفيز وبلاك سنة 1956، ويمكن القول

---

[83]منير عبد الله كرادشة، **علم السكان(الديموغرافيا الاجتماعية)**، مرجع سابق، ص.65، 66.

أن أبحاثهما التي نشرت في هذه السنة تعد من الأبحاث الرائدة في هذا المجال، حيث قدما إطارا تحليليا وافيابينا فيه أن كافة المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية تؤثر على مستويات الخصوبة من خلال مجموعة من العوامل سمياها(بالمتغيرات الوسطية للخصوبة) وضمناها في إطار احتوى مجموعة المتغيرات التي يمكن أن تؤثر في الخصوبة، أو تبين الأسباب المباشرة التي تعمل على رفع مستوياتها أو حتى خفضها. وقد حددت هذه المتغيرات بأحد عشر متغيرا، وأشار إلى أن هذه المتغيرات موجودة في كافة المجتمعات، كما تؤثر وتتأثر بمتغيرات أخرى ذات صيغ اجتماعية اقتصادية مختلفة. وفيما يلي توضيح المتغيرات الوسطية التي قسمها ديفيز وبلاك إلى ثلاث مجموعات، توضح آلية تأثير المتغيرات الوسطية في مستويات الخصوبة السكانية، وهي كما يلي:

عوامل تؤثر في التعرض للاتصال الجنسي(متغيرات الاتصال الجنسي): وهي عوامل مسؤولة عن تشكيل وفسخ الاتحادات الزواجية داخل أو خلال عملية الانجاب، مثل:

العمر الذي تبدأ عنده التحادات الزواجية الجنسية(المشروعة وغير المشروعة).

العزوبية الدائمة، نسبة النساء اللواتي لا يدخلن في الاتحادات الجنسية أبدا.

مدة الفترة الانجابية التي تنقضي بعد الاتحادات أو بينها:

عندما تنتهي الاتحادات بالطلاق أو الانفصال او الهجر.

عندما تنتهي الاتحادات بموت الزوج.

2-العوامل المسؤولة عن التعرض إلى الجماع الجنسي داخل الاتحادات الزواجية وهي متغيرات الحمل:

الامتناع الطوعي(الاختياري).

الامتناع غير الطوعي(العقم، المرض، الانفصال المؤقت أو الاجباري).

عدد مرات الجماع الجنسي(باستثناء فترات الامتناع).

عوامل تؤثر في التعرض للحمل.

القدرة أو عدم القدرة السيولوجية، التي تتأثر بالأسباب غير الطوعية.

استعمال أو عدم استعمال وسائل الحمل.

الوسائل الميكانيكية والكمياوية.

الوسائل الأخري.

3-العوامل المؤثرة على الحمل والانجاب الناجح: وهي متغيرات ذات علاقة بعملية الولادة.

وفيات الأجنة لأسباب غير طوعية مثل(سقوط الجنين، وفاته، الاجهاض التلقائي).

وفيات الأجنة لأسباب طوعية مثل(الاجهاض المتعمد أي برغبة الأم)، وهي طرق شائعة لدى الدول الأكثر سكانا كالصين، الهند، أمريكا، روسيا واليابان، ويمكن القول أن الهدف الأساسي لدى كل من ديفيز وبلاك كان لفت انتباه الباحثين إلى عدم جواز القفز مباشرة من متغيرات المحيط العريضة إلى متغيرات الخصوبة دون الدخول إلى المتغيرات الوسطية، والتي تؤثر في مستوى الخصوبة بصورة مباشرة، ومن خلالها يمر تأثير لمتغيرات المحيط على مستويات الخصوبة السكانية[84].

9-نظرية جون بونقارتز(John Bongart's):

نشر الديموغرافي جون بونقارتز عام 1978م مقالا تحت عنوان(إطار العمل التحليلي للمحددات التقريبية للخصوبة) بين فيه أن دراسة مستوى خصوبة السكان وتفسيراته تتطلب العمل على القياس المباشر للعوامل الاقتصادية والاجتماعية المؤثرة في الخصوبة. وذكر أن العوامل التي تؤثر في الخصوبة ومستوياتها تمر عادة عبر

---

[84] المرجع السابق، ص.67.

العوامل البيولوجية والسلوكية، وهي ما دعاها بالمتغيرات التقربية للخصوبة. وخاصة الأولى لهذه المتغيرات هي تأثيرها المباشر في الخصوبة السكانية، فإذا تغير عامل تقريبي كاستخدام منع الحمل، فإن الخصوبة ستتغير(على افتراض بقاء جميع العوامل التقربية الأخرى ثابتة)، فتعليم المرأة كمتغير اجتماعي اقتصادي مثلا من شأنه أن يعمل على زيادة الوعي لديها ويرفعخبراتها وميلها للرفاه الاجتماعي، ويزيد من تطلعاتها وطموحاتها ويرفع من مستوى ذوقها العام، ورغبتها بالاستفادة من فرص التنمية وما تتيحه من رفاه، ما يزيد من إقبالها على استخدام موانع الحمل، كما يعمل على تأخير سن الزواج، والذي من شأنه أن يسهم في خفض معدل الخصوبة لديها[85].

وعلى هذا الأساس فقد قدم بونقارديز نموذجا واضحا وشاملا لتحليل العلاقة بين متغيرات المحيط والمتغيرات الديموغرافية ذات العلاقة المباشرة بخصوبة المرأة، وقد حددها في بداية الأمر بناء على نموذج ديفيز وبلاك. وللتقليل من التعقيد، فقد اختزل بونقارتز متغيرات ديفيز وبلاك من أحد عشرة متغيرا، إلى ثمانية متغيرات صنفها في ثلاثة مجموعات:

عوامل التعرض للجماع: نسبة المتزوجات.

عوامل التحكم في الخصوبة: (منع الحمل، الاجهاض المتعدد)

عوامل طبيعية(عدم الانجاب بسبب الارضاع، تكرار الجماع، العقم، وفيات الاجنة، مدة فترة الاخصاب).

وفي خطوة لاحقة لتبسيط ما أمكن من التعقيدات وكثرة المتغيرات الداخلة في النموذج، فقد اختزل بونقارتز هذه المتغيرات لتصبح في النهاية أربع متغيرات فقط، وهي:

---

[85] منير عبد الله كرادشة، المرجع السابق، ص.69.

تأخير سن الزواج، استخدام موانع الحمل،الارضاع، الاجهاض.

المحاضرة الثامنة، التاسعة والعاشرة: بعض الدراسات في علم السكان.

1-نظرية فريدمان Freedmanعن الخصوبة.

2-نظرية استرلين Easterlinعن الخصوبة والتنمية.

3-دراسة هيرنك Heerinkعن النمو السكاني وتوزيع الدخل والتنمية الاقتصادية.

4-دراسة هاميل Hammelعن نظرية الثقافة في الديموغرافيا

5-دراسة اريزبArizpe عن السكان والتنمية

6-دراسة سنSen عن الشيخوخة

7-دراسة ماكرسي McCarthy ومين Maineعن محددات وفيات الأمهات

المحاضرة الثامنة، التاسعة والعاشرة:بعض الدراسات في علم السكان:

نظرية فريدمان Freedman عن الخصوبة:

يرى فريدمان، أنه من المفترض وبحدوث مجموعة من التغيرات التنموية، أن تتوافر الحوافز والدوافع اللازمة لانخفاض الخصوبة، وأن أفكار وظروف الحياة الحديثة تعد أيضا حافزا هاما لانخفاض الخصوبة وما أن تتوافر تلك الدوافع، يصبح لمفهوم وسائل تنظيم الأسرة أثر إضافي مستقل.

"وفي تناوله لموضوع الخصوبة ركز فريدمان على متغيرين أساسيين هما: الطلب أو الرغبة في الأطفال، وتبنى مفهوم وسائل تنظيم الأسرة لأن الخصوبة كاتجاه وكسلوك تتأثر وتؤثر في عوامل اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية وديموغرافية عديدة ومتشابكة ويصعب عزلها عن بعضها فلفهم الخصوبة وتحليل المتغيرات التي تحددها لا بد من نظرة متعمقة محللة لها من خلال علاقاتها مع المتغيرات السكانية الأخرى مثل الوفيات والهجرة وتأثرها بالنظام القيمي في المجتمع وبالتغيرات الاقتصادية والسياسية والظروف التاريخية المتغيرة وهذا يفسر تباين المجتمعات في علاقات المتغيرات السكانية بالمتغيرات الاجتماعية الأخرى فعلى سبيل المثال، أكدت كثير من الدراسات وجود علاقة بين الخصوبة وسن الزواج والتعليم إلا أن هذه العلاقة تباينت من مجتمع إلى آخر، وفي نفس المجتمع من فترة زمنية إلى أخرى ومن منطقة إلى

أخرى داخل حدود نفس البلد وهذا يترجم تأثير المتغيرات الفردية بالظروف المجتمعية بصفة عامة"[86].

إن دراسات فريدمان ركزت على متغير واحد من المتغيرات السكانية هو الخصوبة حيث أنه يرى أن معدلات الخصوبة هي العامل الذي يشكل مشكلة سكانية فمعدلات النمو في أي مجتمع تعتمد أساسا على مستويات الخصوبة والوفيات وتتأثر بدرجة ضئيلة بالهجرة الخارجية هذا وأن معدلات الوفيات في البلدان النامية إما أنها قد انخفضت فعلا أو من المتوقع أن تنخفض نتيجة لاستخدام التكنولوجيا الحديثة إلا أن معدلات الخصوبة من المتوقع أن تظل مرتفعة لفترة طويلة وبالتالي فإن معدلات النمو ستتزايد حتى تصل إلى درجة تهدد مجهودات التنمية والبرامج التنموية الاجتماعية والاقتصادية.

نظرية ايسترلين Easterelin [87], Richrd A عن الخصوبة والتنمية:

إن نظرية" ايسترلين "عن سلوك الخصوبة هي تعديل وتطور للنظرية الاقتصادية للخصوبة وتأخذ في الاعتبار الدراسات النظرية للديموجرافيين والاجتماعيين ويتمثل المتغير التابع في إطار استرلين النظري في إجمالي عدد الأطفال الأحياء للأزواج " وتستند علي ثلاث محددات للخصوبة:

الطلب علي الأطفال أي عدد الأطفال الذي يرغب الزوجان فيه إذا كان تنظيم الخصوبة غير مكلف والذي يتحدد وفقا للدخل والتكلفة والذوق.

2- عدد الأطفال الأحياء الذي يمكن أن يرزق به الأزواج إذا لم يحددوا الخصوبة واحتمال استمرار حياة الطفل حتى البلوغ.

---

[86] مصطفى خلف عبد الجواد، **دراسات في علم اجتماع السكان**، مرجع سابق، ص.27.

[87] **ريتشارد ايسترلين:** هو أستاذ إقتصاد بقسم الاقتصاد وعضو في مركز الدراسات السكانية بجامعة بنسافانيا.

3- تكلفة تحديد الخصوبة سواء كانت التكلفة الذاتية (النفسية) أو التكلفة الموضوعية (الوقت والتكلفة المطلوبة لاستخدام وسائل تنظيم الأسرة).

ويري" ايسترلين "أن هناك بعض المتغيرات المركبة التي تحدث أثناء عملية التحديث والتي تبدو هامة في إحداث تحول ديموجرافي والانتقال إلى ظروف إنجاب حديثة تلك التغيرات تضمنت – تاريخيا – الابتكارات في العناية الطبية والصحة العامة ، وتطور التعليم الرسمي ووسائل الأعلام ، والتحضر ، ونمو الدخل القومي وحديثا فقد لعبت برامج تنظيم الأسرة أيضا دورا في التأثير علي السلوك الإنجابي وبذلك فالتحديث يؤثر علي الطلب علي الأطفال وعدد الأطفال الأحياء وتكلفة وسائل تنظيم الاسرة

ويضع" ايسترلين "فروضا مختلفة عن تغييرات محددات الخصوبة الأساسية، ويري أنه يمكن استخدام إطاره النظري في تفسير كثير من أنماط التغيير من معدلات خصوبة مرتفعة إلى معدلات منخفضة، ونمط التحول الديموجرافي من معدلات وفيات مرتفعة إلى معدلات منخفضة والتي تسبق حركة تغيرات مماثلة في معدلات الخصوبة. إلا أنه قد يحدث أحيانا أن يصاحب انخفاض الخصوبة انخفاض في معدلات الوفيات أو حتى يسبقه وليس بالضرورة أن تمر مراحل التحول الديموجرافي بنفس المراحل المتعاقبة التي افترضتها نظرية التحول الديموجرافي. ويرجع هذا أساسا إلى تغيرات في البناء الاجتماعي والاقتصادي. إلا أن" ايسترلين "يتفق مع نظرية التحول الديموجرافي في أن البلاد النامية تمر الآن بنفس المراحل الديموجرافية التي مرت بها البلاد المتقدمة. ولكنه يري أنه مازال هناك حاجة إلى نظرية بديلة عن نموذج التحول الديموجرافي تصلح كإطار تحليلي مرن لتفسير التباينات الواسعة للاتجاهات التاريخية والمعاصرة وألتذبذبات والاختلافات في الانتقال من مجتمعات ما قبل الحقبة الحديثة

pre-modern إلى مستويات الخصوبة الحديثة modern fertility levels ويعتقد "ايسترلين "أن إطاره النظري المقترح في هذه الدراسة يصلح لسد هذا الاحتياج.

وعلي الرغم من أن تصور" ايسترلين "النظري ينتمي إلى المدرسة الاقتصادية في تحليل الظواهر السكانية، إلا أنه أخذ في الاعتبار تغير الظروف الاجتماعية والصحية المختلفة وجوانب التحديث المتعددة. وأسهم" ايسترلين "في إثراء الدراسات السكانية وفتح المجال أمام المزيد من الاختبارات والاجتهادات والتطور النظري[88]. وتأكيدا على هذه النقطة يقول استرلين:" ورغم المحدودية الملحوظة للنظرية الإقتصادية للخصوبة التي تقوم على اختيار المستهلك فإنني أوضح هنا أن الإطار الاقتصادي الأكثر شمولا المتضمن لهذه النظرية يظل أفضل نقطة للإنطلاق نحو تحليل منتظم للخصوبة إلا أن مثل هذا الإطار لا بد أن يكون قادرا على احتواء المفاهيم الرئيسية الخاصة بخبراء السكان وعلم الاجتماع وغيرهم من المعنيين بدراسة الخصوبة البشرية"[89]

دراسة هيرنكHEERINK عن النمو السكاني وتوزيع الدخل والتنمية الاقتصادية

أولا وقبل التعرض لدراسة هيرنك حول النمو السكاني وتوزيع الدخل والتنمية الاقتصادية، نحاول أولا أن نوضح العلاقة بين الاقتصاد والسكان، فكلا من الاقتصاد والسكان يرتبطان بعلاقة متبادلة وثيقة الصلة ومتكامل، فكلاهما ذا تأثير على اللآخر، " ففي حين يحدد تطور حجم السكان وتركيبهم يؤثران من ناحية أخرى أثيرا جوهريا ولا

---

[88] مصطفى خلف عبد الجواد، **دراسات في علم اجتماع السكان**، مرجع سابق، ص.28، 29.

[89] ريتشارد ايسترلين، **اطار اقتصادي لتحليل الخصوبة**، دراسات في تنظيم الأسرة، المجلد السادس، العدد الثالث، مارس 1975، ص. 45.

يستهان به في وتيرة(النمو الاقتصادي) ومستوياته[90]. وبصفة عامة يمكن القول أن النظرة الاقتصادية للسكان تنحصر في جانبين أساسيين:

الجانب الأول: يعتبر السكان قوة استهلاكية تمارس ضغوطا على الموارد الاقتصادية المتاحة في كل الاحوال، وان هذه الضغوط تزداد حدتها كلما كانت الموارد محدودة، وأن هذا التأثير يكون أكثر وضوحا في الاقتصاديات الريعية أو الفقيرة والاقل تنويعا(على سبيل المثال: دولة نفطية مثل العراق تعتمد على موردها الناضب في حين لا تحاول تنويع اقتصادها لسبب ما، وتشهد تزايد مستمر في عدد سكانها، فمن المؤكد أن هذا العدد المتزايد من السكان سيشكل قوة استهلاكية تشبع احتياجاتها المتزايدة من الارادات التي يوفرها المورد الناضب، وذلك على حساب الجزء الذي فشل الاقتصاد في تحويله نحو تمويل عملية التنمية الاقتصادية فيه)[91].

الجانب الثاني: يعتبر السكان قوة انتاجية تسهم عن طريق عملها وخبرتها ومهارتها وقدرتها على التنظيم وإدارة العملية الانتاجية، في استغلال الموارد أو عنصر من عناصر الانتاج(حتى في حالة محدودية العنصر)، لغرض المساهمة في خلق تيار مستمر التدفق من السلع والخدمات، والكيفية التي تلبي الاحتياجات المتزايدة لعموم المجتمع(مثلا سكان اليابان يتجاوز عددهم ال100 مليون نسمة، إلا أنه نجح في اقامة توازن بين التوضيف في قواعد الانتاج والبشر باعتبارهم الرأسمال الأكبر وصانعوا حركات التحديث الناجحة.

وعليه تهدف هذه الدراسة إلى الوصول إلى تصور نظري يساهم في فهم العلاقات المتداخلة بين نمو السكان وتوزيع الدخل والتنمية الاقتصادية، والتعرف علي الميكانيزم

---

[90] حنان عبد الخضر هاشم، **المشكلة السكانية ومتطلبات التنمية الاقتصادية في البلدان النامية(رؤى نظرية وجدل قائم)**، مجلة الغزي للعلوم الاقتصادية والادارية، العدد18، دون سنة نشر، العراق، ص.83.

[91] المرجع السابق، ص.84.

المباشر والغير مباشر للتأثير المتبادل بين النمو السكاني وتوزيع الدخل إحداهما علي الآخر، والتوصل إلى تقديرات لقياس قوة كل ميكانيزم .

ويرتكز إطار" هيرنك "النظري علي خمس متغيرات أساسية تمثل جوانب هامة من التحول الديموجرافي وتوزيع الدخل. هذه المتغيرات هي : مستوي الخصوبة Fertility level مستوي الوفيات Mortality level والبناء العمري والنوعي للسكان Sex-age structure والنوعي للسكان أو درجة المساواة في توزيع الدخل، للسكان ومتوسط الدخل القومي. ويتناول هذا النموذج العلاقات المباشرة والغير مباشرة بين هذه المتغيرات الأساسية. والعلاقات المباشرة تكون من خلال المتغيرات الوسيطة مثل التعليم والتغذية والاشتراك في القوة العاملة والاستهلاك.

ويختلف هذا النموذج النظري عن النماذج النظرية السابقة من حيث:

1-إن الجزء الديموجرافي من النموذج ليس محدود فقط بالخصوبة والوفيات ولكن يتضمن أيضا البناء العمري والنوعي للسكان .

2-تم قياس توزيع الدخل بمتوسط الدخل ودرجة المساواة في الدخول .

3-يأخذ النموذج في الاعتبار ليس فقط العلاقة المباشرة بين نمو السكان ومساواة الدخل ولكن يتضمن أيضا عدد من العلاقات المتداخلة من خلال متغيرات اجتماعية واقتصادية وسيطة مثل التعليم والصحة والتغذية والاشتراك في القوة العاملة.

4-لا يحاول النموذج اختبار الفجوة الزمنية بين هذه العلاقات ولكن يركز علي تقدير العلاقات طويلة المدي .

5-قياس مساواة الدخل الذي يستخدم هنا كمتغير تفسيري في المعادلات تم اختياره للوصول إلى درجة من الثبات بين العلاقات على المستوي المجتمعي وما يماثلها من علاقات على المستوى الفردي[92].

دراسة هاميل HAMMEL عن نظرية الثقافة في الديموغرافيا

كمحاولة لرفض النظريات الديموجرافية الاقتصادية ظهر الاهتمام بمفهوم الثقافة لفهم وتفسير التباين الديموجرافي في المجتمعات المحلية وسلوك الأفراد الذين يعيشون في ظل نفس الظروف الاقتصادية والعادات والتقاليد

ويري" هاميل في دراسته أنه باستخدام المدخل الثقافي يمكن تفسير تشابه السلوك الديموجرافي لسكان نفس الإقليم الجغرافي أو اللغوي في المراحل الزمنية المختلفة ، وأيضا في تفسير التباين الديموجرافي بين السكان الذين يمرون بنفس مراحل تغير مستويات المقاييس الديموجرافية. ويستخدم مفهوم" الثقافة "من الناحية الوظيفية كوسيلة لفهم السلوك، ويقترح استخدامه في الديموجرافيا وفي التحليل الاجتماعي عامة بطريقة نظرية وعملية تطبيقية في آن واحد، وتستند آراء هاميل النظرية على الأسس التالية:

1)عند فهم وتفسير السلوك الاجتماعي الديموجرافي وعلي المستوي الفردي لابد أن نأخذ في الاعتبار ليس فقط الظروف الاقتصادية والايكولوجية والتنظيمات الاجتماعية ولكن هوية الأفراد القائمين بالأدوار المتداخلة في الشبكة الاجتماعية.

2)تعد الثقافة بناء اتصال دائم التقييم من جانب القائمين بالأدوار في إطار التقاليد والتجارب الانسانية. ويتم دائما تعديله من خلال عمليات التفاعل الاجتماعي، ويقوم هذا التقييم الثقافي بتوجيه سلوك الافراد .

---

[92] مصطفى خلف عبد الجواد، **دراسات في علم اجتماع السكان**، مرجع سابق، ص.30.

3)يعتمد استنتاج وإظهار المضمون الثقافي علي الإطار المرجعي الفطري ويجب أن يعقد باللغة المحلية وأن يستفيد من الأدوات الاثنوجرافية ومن التجارب النظرية والمنهجية للأنثروبولوجية المعرفية واللغوية.

ويذهب" هاميل "إلى أن تبني المفاهيم الأنثروبولوجية للثقافة في التفسيرات الديموجرافية تتطلب اتجاهات نظرية أعم وأشمل. فدراسة" هاميل "محاولة لإظهار أهمية تبني المفاهيم الثقافية والاستفادة من المناهج الانتروبولوجية في الدراسات الديموجرافية. وتعد النظريات الثقافية واستخدامها في الدراسات السكانية رد فعل لانتشار التفسيرات الاقتصادية وتطبيق النظريات الاقتصادية في تحليل الظواهر السكانية ومحاولة فهم محدداتها والعوامل المؤثرة فيها. وبذلك تعد آراء" هاميل" إضافة وإثراء نظري لفهم الظواهر السكانية سواء علي المستوي الفردي أو المجتمعي، ومحاولة للربط بين الدراسات السكانية وبين الدراسات الاجتماعية والانتروبولوجية[93] .

<u>دراسة اريزبARIZPE عن السكان والتنمية</u>

ترتبط التنمية بطرق متعددة بالتغيرات السكانية، ويمكن إضافة التحولات التي تطرأ على النظم الديموغرافية عند الانتقال من معدلات مرتفعة إلى معدلات منخفضة من الوفيات والمواليد إلى قائمة التغييرات الهيكلية التي تشكل التنمية. والواقع أنه نظرا للتأثير الذي يقوم به التغيير السكاني من حيث الارتقاء بالرفاهية البشرية، وتداعياته الاجتماعية والاقتصادية، يمكن القول أنه يمثل أهم تلك التغييرات. تعد الزيادة السكانية – الناتجة عن انخفاض الوفيات والهجرة– قوة في حد ذاتها في إطار عملية التنمية، وتبدو أحيانا كقوة دافعة للتنمية، بينما تظهر أحيانا أخرى كعامل يعوق النمو، ويخفف من أثر إنجازاته. وفي حين تمثل البلدان المستوى الأساسي الذي يتم على أساسه تحديد

---

[93] المرجع السابق، ص.32.

تلك العلاقات، نجد أن الآثار الحادثة على المستويات المحلية تكون أحيانا أكثر حدة. كما يمكن أن تؤثر تداعيات التغييرات السكانية على التنمية على نطاق إقليمي أوسع، وحتى على مستوى الاقتصاد العالمي، ويحدث ذلك إما بطريقة مباشرة من خلال الهجرة، أو انتقال الأمراض، أو بطريقة غير مباشرة من خلال التأثيرا على السياسات الجغرافية والنظم البيئية الأساسية. ويكشف تصنيف النمو السكاني على أساس الفئات العمرية، والمصدر(خاصة النمو الطبيعي مقابل الهجرة)، وبعض الخصائص الأخرى، عن وجود صلات أخرى. ويتناول موضوع السكان والتنمية كل هذه التفاعلات بشكل عريض[94].

دراسة سنSEN عن الشيخوخة

لقد تم اختيار هذه الدراسة لتناولها موضوع لم يسترعي انتباه المشتغلين بالسكان إلا حديثا جدا. ويرجع عدم اهتمام المتخصصين وواضعي السياسات بهذا الموضوع إلى أن هناك مشاكل أخرى أكثر حيوية تجعل من الصعب التركيز علي ظاهرة تعتبر خاصة بالدول المتقدمة فقط، إلى جانب الاعتقاد الشائع في الدول النامية بأن البناء الأسرى يوفر لكبار السن الرعاية المناسبة وبذلك فمشاكل المسنين تعد قليلة نسبيا ولكن بارتفاع معدلات العمر وتوقع الحياة عند الولادة وبتغير الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي غيرت من طبيعة العلاقة بين الآباء والأبناء، أصبح موضوع" المسنين يشغل اهتمام المشتغلين بالسكان ليس فقط في البلاد المتقدمة ولكن أيضا في البلاد النامية ويرى سن أن" الشيخوخة "هي نتيجة بعدين أساسيين من نظرية التحول الديموجرافي[95]:

أولا :انخفاض معدلات الوفيات والذي ينتج عنه ارتفاع معدلات التوقع عند الحياة.

---

[94] جوفري ماكنيكول، **السكان والتنمية إطلالة تمهيدية**، عدد 174، (نيويورك: مجلس السكان، 2003).

[95]مصطفى خلف عبد الجواد، **دراسات في علم اجتماع السكان**، مرجع سابق، ص.37.

ثانيًا :انخفاض معدلات الخصوبة والذي يؤدي إلى انخفاض نسبة الأطفال وصغار السن وبالتالي زيادة معدلات الفئات العمرية من كبار السن.

ويناقش" سن "في دراسته التطور التاريخي لهذه العملية الديناميكية التي تسمي بالتحول الديموجرافي Demographic Transition والتي لوحظت في القرن التاسع عشر في أوروبا بعد الثورة الصناعية ، وكانت نتيجة التحسن التدريجي في المستويات المعيشية للسكان في بعض البلاد الأوروبية مثل فرنسا وانجلترا. وحدث ذلك كنتاج للتقدم في مجال التكنولوجيا الصحية وتحسن الإسكان ومستويات النظافة والتغذية. وبذلك بدأت معدلات الوفيات في الانخفاض ثم بدأت مرحلة أخرى من انخفاض معدلات الخصوبة. وهكذا فإن فئة" المسنين "كانت نتيجة طويلة المدى للتنمية الاجتماعية والاقتصادية.

وتمر الآن البلاد النامية بنفس تلك المراحل من التحول الديموجرافي ولكنها تأخذ فترة زمنية أقصر فبدأت معدلات الوفيات في الانخفاض بمعدلات كبيرة في بعض البلاد في أمريكا اللاتينية واسيا وحديثا في أفريقيا نتيجة لتوفر العلاج والوقاية من الأمراض والتي كانت تتسبب في الماضي في كثير من الوفيات المبكرة. ثم بدأت أيضا الخصوبة في الانخفاض بمعدلات سريعة في معظم الدول النامية بصفة عامة نتيجة التكنولوجيا الطبية وتوفر وسائل تنظيم الأسرة وانتشار استخدامها في البلاد النامية. هذا ويصاحب هذا التحول الديموجرافي ارتفاع مستويات التعليم التي كانت دائما عامل مسبقا لنجاح تجربة تنظيم الاسرة ونتج عن ذلك فئة المسنين والتي حدثت في الدول النامية مصحوبة بتنمية اجتماعية واقتصادية حقيقية. وأدت إلى وجود نسبة كبيرة من السكان تعيش حياة هامشية علي الرغم من أنهم سوف يعيشون مدة أطول عن آبائهم وسيكون لهم أبناء اقل. هذا بالإضافة إلى أن أشكال العناية التقليدية التي كانت متوفرة

لكبار السن حتى قريب معرضة الآن للزوال. وهذا ليس لان الأسرة لم تعد تهتم ولكن نتيجة للتغيرات الاجتماعية والتي تتضمن التحضر والانتشار الجغرافي والاتجاه نحو الأسر النووية واشتراك المرأة في العمل. ويري" سن أن هناك ثمن يدفع للفشل في توجيه الاهتمام بالمشاكل المرتبطة بالشيخوخة في أي مجتمع. والدلائل تشير إلى أن هناك نسب متفاوتة للموارد تصرف علي (ما يسمي بنسبة صغيرة نسبيا) السكان من كبار السن في كل بلد. ويرجع ذلك إلى مجموعة من العوامل[96]:

طبيعة مشكلات الشيخوخة طويلة الأجل وتتطلب إمكانيات مادية عالية.

الأسرة في الحياة المعاصرة تقع تحت ضغط وتعاني من مشاكل مزمنة ومركبة مما تضع ضغوط على السلطات لوضع نظم خاصة بكبار السن والذين يحتاجون إلى عناية مكثفة.

الحراك الاجتماعي والجغرافي والذي يؤدي إلى مواقف يكون فيها الأولاد غير قادرين علي توفير الرعاية المناسبة.

في غياب حلول مناسبة يتجه متخذو القرار إلى تبني الأشكال التنظيمية للرعاية المتوفرة في كثير من الدول المتقدمة.

دراسة ماكرسيMCCARTHY ومين Maine عن محددات وفيات الأمهات

تعرف وفيات الأمهات على أنها" وفاة امرأة أثناء الحمل أو خلال اثنين وأربعين يوما من انتهاء الحمل، بصرف النظر عن مدة وموقع الحملأ أو سبب الوفاة"[97]

وتقترح دراسة ماكرسي ومين، إطار متكامل لتحليل العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسلوكية والبيولوجية التي تؤثر على وفيات الأمهات ويغطي هذا الاطار

---

[96] مصطفى خلف عبد الجواد، **دراسات في علم اجتماع السكان**، مرجع سابق، ص.38.

[97] S.chadraleka and m.rajeswani; a study on determinants of maternal mortality rate in tamil nadu, langage in india, vol 13 april 2013,p.40.

ثلاثة مراحل عامة أو مكونات لعملية وفيات الأمهات فتقترن بوفيات الأمهات سلسلة من المواقف، ينتج عنها عجز أو وفاة نتيجة الحمل أو بعض مضاعفات الحمل، تتأثر مباشرة بخمس مجموعات من المحددات أو المتغيرات المتوسطة هي: الحالة الصحية للسيدة والحالة الانجابية وقربها من الخدمات الصحية وسلوكها الخاص بالعناية الصحية إلى جانب عوامل أخرى.

وهذا ما أكده كلا من شوندروليك وريجاسواري في دراستهما حول محددات معدل وفيات الامهات في تامبل نادو بالهند، حيث يقولا:" الملايين من النساء في البلدان النامية تعانين من مشاكل صحية خطيرة تتعلق بالحمل والولادة، ومضاعفات الحمل والولادة والتي تسبب المزيد من الوفيات والعجز جراء مشاكل صحية وإنجابية...إن عدم كفاية فرص الحصول على الخدمات الصحية الحديثة وسوء استخدامها على الرغم من التزام الحكومة الجاد لتسليم مرافق صحية إلى عتبة كل الناس من خلال المنهج المبتكر، مثل خدمة الحزمة الاساسية(Esp)، والاستفادة من الخدمات الصحية، إلا أن هذه الاخيرة لا تزال أقل بكثير من أي مستوى مقبول[98] .

وهناك مجموعة من العوامل الثقافية والاجتماعية – الاقتصادية ذات العلاقة القوية بوفيات الأمهات، حيث جاء في دراسة أجراها صندوق الأمم المتحدة للسكان بعنوان: محددات وفيات الأمهات والاعاقة، يوضح فيها أن فرصة وفاة المرأة أو أن تصبح معاقة أثناء الحمل والولادة ترتبط وثيقا بوضعها الاجتماعي والاقتصادي، والمعايير والقيم الثقافية لها، وبعدها الجغرافي(المؤسسات الصحية) عن مزلها، وعموما فكلما

[98] Ibid , p41.

كانت المرأة أكثر فقرا وتهميشا زادت مخاطر الموت، كما أن معدلات وفيات الأمهات تعكس التفاوت بين البلدان الغنية والفقيرة أكثر من أي سبب آخر[99].

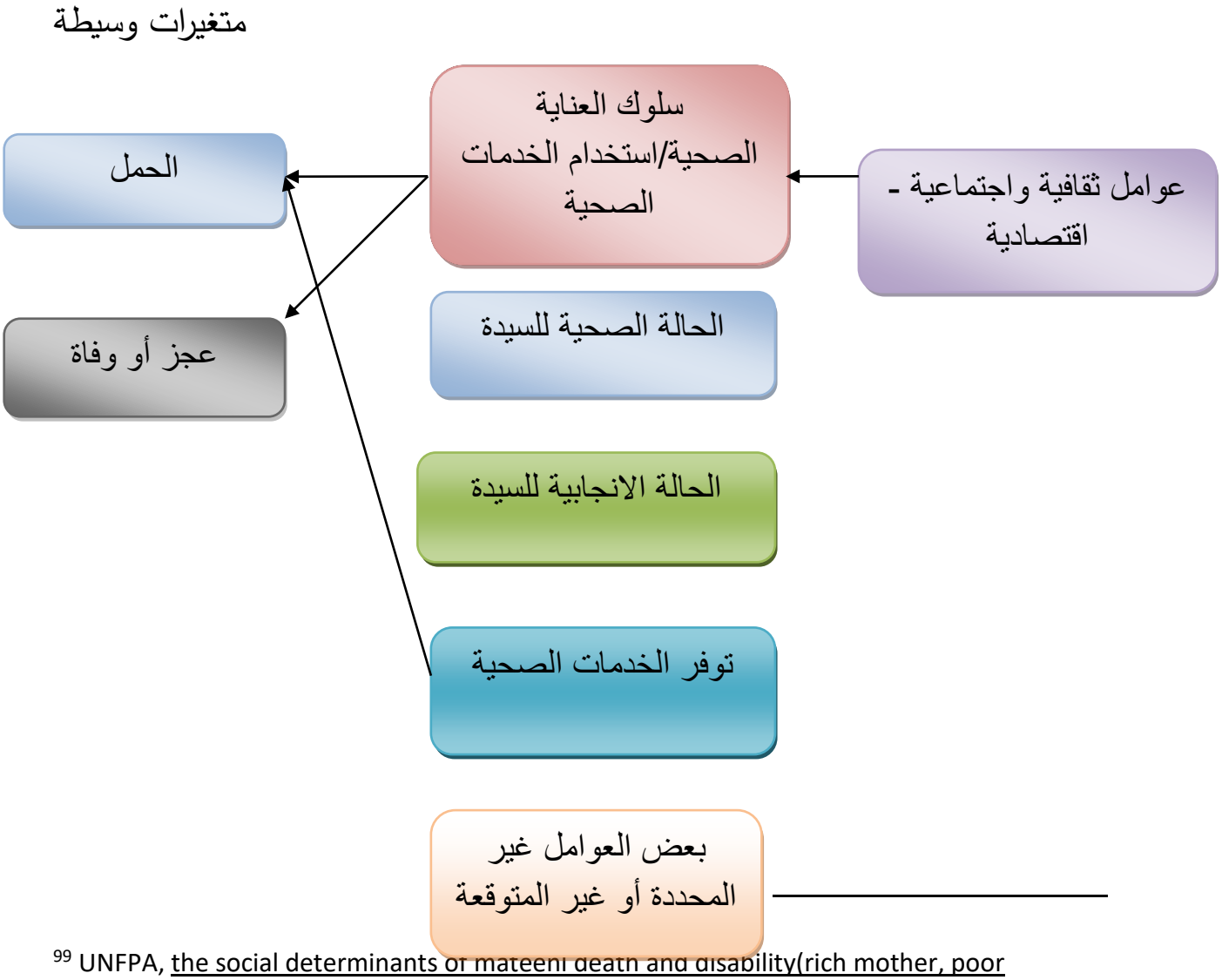

[99] UNFPA, the social determinants of mateeni death and disability(rich mother, poor mother), decemdar2012, p.1.

شكل يوضح أهم المتغيرات الوسيطة التي تؤثر على وفيات الأمهات حسب ماكرسي ومين.

خاتمة:

تختلف النظريات السكانية باختلاف المدارس المعرفية التي تروم مقاربتها. إلا أن الملاحظ أنه لا توجد ثمة نظرية تشكل قانونا عاما وثابتا للسكان، فلكل عصر ولكل مجتمع قانونه السكاني الخاص به ينتج بالضرورة عن الظروف السائدة بالمجتمع.

إلا أن كل النظريات لا تخلو من القيمة العلمية التي تكشف عن جوانب مهمة من علم دراسة السكان. إذ يقول بلمير بلحسن:" تبقى المنظومة الديموغرافية مجال علم مفتوح إلى علوم جديدة أخرى في المستقبل. ولن يتحقق ذلك إلا في ظل التطور العلمي والتكنولوجي، حيث يبقى الانسان دائما هو مركز اهتمامها. إن المجتمع البشري يتعقد أكثر فأكثر الأمر الذي يتطلب ايجاد مناهج جديدة وشاملة لدراسة الظاهر السكانية الإنسانية، ليس من طرف الديموغرافيا وحدها التي بات نشاطها محددا كلما تعلق الأمر بعمل علمي جدي يراعي المجتمع كمقولة ظرفية وتاريخية فقط، بل من طرف منظومة

كاملة متكاملة من المعارف تهتم بالانسان كذات وموضوع في ميادين تقاطعها في آن واحد. ذلك هو تطور الديموغرافيا من حالة محاسبة عامة بفضل الاحصاء الوصفي غداة نشوئها في أواسط القرن السابع عشر، إلى علم حديث متعدد التخصصات ذي مناهج وطرق في التحليل العلمي لإبراز طبيعة وصفات علاقات العمليات الديموغرافية في المجتمعات البشرية[100].

المصادر والمراجع:

المصادر

القرآن الكريم

المراجع:

1. إجلال عوض الله فضل المولى محمد، اتجاهات الخصوبة البشرية بولاية شمال دارفور ـ دراسة حالة محلية الفاشر في الفترة ما بين 1993- 2005، (رسالة دكتوراه)، (الخرطوم: قسم الجغرافيا، 2007).
2. أحمد الخشاب، التفكير الاجتماعي(دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية)، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دون سنة نشر)
3. أحمد على إسماعيل، أسس علم السكان وتطبيقاته الجغرافية،ط8، (القاهرة: دار الثقافة والنشر والتوزيع، 1997).

[100] بلمير بالحسن، **الديموغرافيا: منظومة من المعارف**، العدد14، (الجزائر:جامعة قسنطينة، 2000)،ص.219.

4. أحمد قطيطات، الهبة الديموغرافية في الوطن العربي، المؤتمر الاحصائي العربي الأول،(الأردن: عمان، 2007).
5. أسعد بن محمد عطية، مؤشرات خصوبة سكان دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 12، العدد24، دون سنة نشر.
6. اسماعيل حسن عبد الباري، الديموغرافيا الاجتماعية، ط1، (عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2000).
7. آسيا شريف، الظواهر الديموغرافية(قراءات نظرية وتمارين تطبيقية)، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2015).
8. بالمير بالحسن، الديموغرافيا: منظومة من المعارف، العدد14، (الجزائر: جامعة قسنطينة، 2000).
9. جوفري ماكنيكول، السكان والتنمية إطلالة تمهيدية، عدد 174، (نيويورك: مجلس السكان، 2003).
10. جيمس يبرك، عندما تغير العالم، ترجمة: ليلى الجبالى، سلسلة عالم المعرفة 185، (الكويت، 1994).
11. حسن الساعاتي، عبد الحميد لطفي، دراسات في علم السكان، (بيروت: دار النهضة العربية، 1981).
12. حسين عبد الحميد رشوان، السكان والمجتمع(دراسات في علم الاجتماع السكاني)، ط3(الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، 2011).

13. حنان عبد الخضر هاشم، المشكلة السكانية ومتطلبات التنمية الاقتصادية في البلدان النامية(رؤى نظرية وجدل قائم)، مجلة الغزي للعلوم الاقتصادية والادارية، العدد18، دون دار نشر، العراق.

14. خلف الله حسن محمد، الصحة والبيئة في التخطيط الطبي، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية،1999).

15. خليل عبد الهادي البدو، علم الاجتماع السكاني، (الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2008).

16. الدراسات والمجلات:

17. دريد فاطمة، النمو الديموغرافي وأثره على التنمية الاقتصادية والاجتماعية، أطروحة دكتوراه دولة، (الجزائر: جامعة قسنطينة، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، 2007/2006).

18. رشيد زوزو، الهجرة الريفية في ظل التحولات الاجتماعية الجديدة في الجزائر(1988-2008)، أطروحة دكتوراه دولة، (الجزائر: جامعة قسنطينة، قسم علم الاجتماع، 2008.

19. رمزي زكي، المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية الجديدة، العدد84، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1984).

20. ريتشارد ايسترلين، اطار اقتصادي لتحليل الخصوبة، دراسات في تنظيم الأسرة، المجلد السادس، العدد الثالث، مارس، 1975.

21. السيد عبد العاطي السيد، علم اجتماع السكان، (الأزاريطة: دار المعرفة الجامعية، 2006).

22. صفوح الأخرس، علم السكان وقضايا التنمية والتخطيط لها، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، 1980).

23. طارق السيد، علم اجتماع السكان، (الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2008).

24. عبد علي الخفاف ومحمد أحمد عقلة المومني، جغرافية السكان(دراسة في أدب السكان وديموغرافية الوطن العربي)، ط1، (الأردن: دار الكندي للنشر، 2001).

25. على غربي، علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية والمحدثة، (الجزائر: مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة، 2007).

26. علي عبد الرازق جلبي، علم اجتماع السكان، (الأزارطة: دار المعرفة الجامعية، 2009).

27. فتحي محمد أبو عيانة، جغرافية السكان أسس وتطبيقات، ط4، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1993)، ص.402.

28. فتحي محمد أبو عيانة، دراسات في علم السكان، ط2، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 2000).

29. فراس عباس فاضل البياتي، الاتجاهات النظرية الحديثة في علم اجتماع السكان، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2011).

30. فوزي سهاونة، مبادئ الديموغرافيا، ط1، (الأردن: نشر بدعم من الجامعة الأردنية والأمم المتحدة، 1982).

31. لويس هنري، الديموغرافيات تحليل ونماذج، ترجمة جلالي صاري، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1984).

32. ماجد عثمان، هبة نصار، سارة محمد الدمرداش الخشن، دور السياسات في الإسراع بالتحول الديموغرافي(دراسة حالة شرق آسيا والدروس المستفادة لمصر)، بحوث اقتصادية عربية، العدد 65، شتاء 2014.

33. مجلس السكان الدولي، مقدمة في علم السكان وتطبيقاته، زينب خضر، الفصل الأول(النظريات السكانية)، (مصر، 2010).

34. محمد أبو زيد أبو زيد، نظرة قرآنية في نظرية مالتوس السكانية، مجلة التراث العربي، 1981، 1982.

35. مصطفى السلقاني، طرق التحليل الديموغرافي(الاحصاء السكاني والديموغرافي)،(الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، دون سنة نشر).

36. مصطفى خلف عبد الجواد، دراسات في علم اجتماع السكان، ط1، (عمان: دار المسيرة، 2009).

37. مصطفى عمر حمادة، دراسات في علم السكان، (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية، 2008).

38. منير عبد الله كرادشة، علم السكان(الديموغرافيا الاجتماعية)، ط1، (إربد: عالم الكتب الحديث، 2009).

39. ميثاء سالم الشامسى، السياسات السكانية والتحول الديموغرافي في الوطن العربي مع إشارة خاصة إلى دول مجلس التعاون، (الامارات العربية المتحدة: برنامج المنتدى العربي للسكان، 2004).

40. نسيم ماطر، نظرية التحول الوبائي، https://www.google.dz/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=4&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwjAl--ftMLJAhUL2hoKHXU1DVYQFgg2MAM&url=http%3A%2F%2Fwww.arabgeographers.net%2Fvb%2Fattachments%2Fattachments%2Farab684%2F&usg=AFQjCNHZ407eIyWoXUwlIVpmf1f4emGVPw&bvm=bv.108538919,d.d24، يوم: 2015/12/03، الساعة: 15.30

41. الوبيوغرافيا

المراجع الاجنبية:

1. A.avdeev,histoire de la population mondiale et transition demographique /histoire de peuplement, 2013.
2. S.chadraleka and m.rajeswani; a study on determinants of maternal mortality rate in tamil nadu, langage in india, vol 13 april 2013.
3. UNFPA, the social determinants of mateenl death and disability(rich mother, poor mother), decemdar2012.
4. Larousse dictionnaires de français,www .larousse .fr /dictionnaires/immigration/41704, le20/02/2016,a04h.32m.